كيف تسعدين زوجك
ووصايا الرسول صلى الله عليه وسلم
للنســـــاء

معتز محمد هاشم الجعبري



دار
عالم
الثقافة



الطبعة الأولى

2006م - 1427هـ

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2005/4/803)

265.4
الجعبري، معتز محمد
كيف تسعدين زوجك ووصايا الرسول ﷺ للنساء/ معتز محمد هاشم الجعبري.- عمان: دار عالم الثقافة، 2005
(   ) ص
ر.إ.: 2005/4/803
رقم الإجازة المتسلسل / لدائرة المطبوعات والنشر 747 /4 / 2005م
الواصفات: / المرأة المسلمة// الثقافة الاسلامية// السيرة النبوية// الإسلام//

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

عمان - الأردن- العبدلي - تلفاكس 4613465 - 6 - 00962
ص.ب 927426 - الرمز البريدي 11190 عمان / الأردن

دار الأسرة للنشر والتوزيع

عمان - الأردن - الشميساني - هاتف: 00962-7-95990267

www.alamthqafa.com
E-mail: info@alamthqafa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد،،،

لأن الله عز وجل هو البر بعباده الرؤوف الرحيم بهم، وهو الودود الذي أنعم على لعباده بصنوف النعم، نعمته تسعى لكل حي ورحمته وسعت كل شيء، فقد خلق أبا البشرية آدم عليه والسلام ولم يتركه فردا بل خلق له من نفسه زوجا يسكن إليها وتسكن إليه، وجعل سبيل تكاثر البشرية هو هذه العلاقة الفريدة بين هذين الزوجين يقول تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ (سورة النساء:1).

إن استقامة العلاقة الزوجية واستقرارها، يفرزان بالضرورة أسرة صالحة كلبنة قوية في بنيان مجتمع منسجم يخطط ويبني ويتفاعل على نحو إيجابي، ويواجه الأخطار بثبات يعقبه انتصار.

واضطراب العلاقة الزوجية وفسادها يخلّف ثغرة في حصن المجتمع يؤتى من قبلها إذا عمّ هذا النموذج الفاشل فكان قاعدة وأصلا، فتكون العاقبة مجتمعا متفككا سلبيا يواجه الأخطار بتشتت وانكسار.

والمرأة المسلمة أهم ركن في هذه الأسرة ويقع عليها العبء الأكبر في صيانتها وحفظها، ولأن أهل الكفر والباطل يعلمون ذلك فقد رموا بسهامهم الآثمة تجاه المرأة المسلمة، لأنهم يعلمون أن إصابتها تعني إصابة كبد الأمة،

فهي الوالدة المرضع لأطفالها كل القيم والمفاهيم، وهي الزوجة المؤتمنة على زوجها وبيتها، وفساد المرأة يعني بالضرورة فساد المجتمع بأسره.

ولا عاصم ولا ملاذ في هذا البحر المتلاطم إلا بالأخذ بهدي المصطفى ﷺ وإرشاداته ووصاياه.

وإني لأرجو الله أن يكون هذا الكتاب عونا للمرأة المسلمة على تحصين نفسها وأسرتها ومجتمعها لمواجهة الغزو الآثم، الذي يهدف لتجريدها من كل أسلحتها.

وينقسم الكتاب إلى قسمين، أولهما تلمست فيه السبل التي تفضي إلى علاقة زوجية سوية، وبيوت مطمئنة ترفرف عليها السعادة وتظللها المودة.

والقسم الثاني عمدت فيه إلى جمع بعض فتاوى وإرشادات ووصايا الرسول صلى الله عليه وسلم التي تخص المرأة على العموم، ومع علمي بأن غالب الأحكام الشرعية الواردة في كتاب الله وسنة المصطفى التي خاطب فيها الرجال تشمل المرأة المسلمة، لكني قصدت ذكر وصايا خاطب بها الرسول صلى الله عليه وسلم المرأة وفتاوى أجاب بها على استفسارات النساء.

أسأل الله أن يقبل مني عملي هذا ويجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفعني وأهلي وكل قارئ كريم بما فيه، والحمد لله رب العالمين.

معتز محمد هاشم الجعبري

القسم الأول: كيف تسعدين زوجك؟

هل تنجح المرأة مع شريك حياتها ؟

تلج الفتاة الحياة الزوجية لتفاجأ أن حياتها تغيرت تماماً، فقد تركت عشها الدفء وأحضان أمها التي كانت تضمها كلما ألمّ بها كرب أو وقعت في إخفاق، وتغيرت صلتها بصديقات الماضي.

وجديد حياتها هو ذلك الإنسان الذي قبلت به زوجا، إنه ليس زميل دارسة عابر. ولا جارا تغلق بابها دونه إن لم يحز رضاها، ولا صديقا تتخلى عن صحبته إن بدر منه ما يحزن، بل هو قرينها الدائم، وشريك حياتها، ومرجعها في كل الشؤون.

وتفكر في هذا الزوج فلا تعلم كيف تتصرف معه؟ وكيف تحقق معه الوفاق والانسجام؟ وكيف تحوز رضاه؟ وكيف تبقيه محبا لها شغوفا بها؟ وكيف تستطيع أن تغيّر في بعض أفكاره وعاداته؟ وكيف تحقق طاعته ورضاه دون إلغاء شخصيتها؟

وتمضي حياتها متضمنة صعوبات الحمل، وتبعات الإنجاب، ورعاية الزوج والبيت والأطفال، وربما تمر كل هذه الأحداث والمرأة مازالت تسأل نفسها عن المعادلة الصحيحة في التعامل مع زوجها.

حاولت في الصفحات التالية وضع يدي على نقاط جوهرية في علاقة المرأة بزوجها، ومفاتيحها لغرف قلبه، ونبهت لمواضع خلل تتسبب في عدم الوصول للسعادة والرضا في الحياة الزوجية.

ولا أزعم أني وضعت يدي على كل مفاتيح السعادة الزوجية، لكن القاعدة تقول: (ما لا يدرك كله لا يترك جله)، فلو تمكنت المرأة بفطنة

وذكاء من استخدام بعض هذه المفاتيح لاستطاعت أن تنجح مع شريك حياتها، ولتربعت على عرش قلبه، ولو صبرت وثابرت وأحسنت، وواجهت كل صعوبة وعسر بابتسامة واثقة وحلم جميل لكانت لها العاقبة والفوز.

قد تقول قائلة، لقد صنعت كل هذا مع زوجي، وتذللت له تذللا لكن لم أحصل على نتيجة ولا ثمرة!

أقول: لا، لقد صنعت ما يجب صنعه، وأرضيت الله بحسن تعاملك مع زوجك، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا، أما النتيجة والثمرة وتحقيق الأهداف فهو أمر موكول لله عزوجل.... قد يمتحن الله صبرك بتأخير الثمرة، وقد يحرمك منها في الدنيا لتجدينها جبالاً من حسنات يوم القيامة.

وإني قبل الولوج في الفصل الأول من الكتاب أحبّ أن أهدي كل امرأة صالحة عاقلة حديثا نبويا شريفا عن الرسول ﷺ طبيب القلوب، والمبشر بالخير عن ربه، فقد أخرج الإمام أحمد وغيره: أتت أسماء بنت يزيد بن السكن - رضي الله عنها - النبي ﷺ فقالت: إني رسول مَنْ ورائي من جماعة نساء المسلمين، كلهن يقلن بقولي، وعلى مثل رأيي: إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك، واتبعناك، ونحن معاشر النساء مقصورات، مخدرات، قواعد بيوت، وإن الرجال فُضلوا بالجُمُعَات وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم، وربينا أولادهم. أفنشاركهم الأجر يا رسول الله؟ فالتفت ﷺ إلى أصحابه فقال: "هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها؟ "فقالوا: بلى يا رسول الله، فقال ﷺ: **"انصرفي يا أسماء، وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعّل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته، واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال"**.

الحب الحقيقي.. بعد الزواج

الحب ليس مشاعر غريزة ترتبط بالمراهقة، وليس لقاءات يختلسها العشاق من طلبة الجامعات، ولا عبارات غزل يتبادلها الزوجان في فترة الخطوبة.

الحب الحقيقي لا يظهر إلا بعد الزواج، لأن الزواج هو المحك الذي يظهر الحب الحقيقي من الزائف، وعندما يطوي الزوجان سنوات من الزواج السعيد، فإنهما يؤكدان أن بينهما حب حقيقي.

قد لا يكون حباً متوهجاً مشتعلاً كما تصوره الروايات الرومانسية وأعمال الدراما، لكنه حب ناضج عميق مظاهره الألفة والمودة، والتراحم والاهتمام والرعاية، والانسجام والالتحام في مواجهة مواقف الحياة.

أظهري لزوجك الحب

لا تكتفي بوجود مظاهر الحب آنفة الذكر، بل أوقدي الحب بينكما بالتصريح بالكلام والأفعال، وبالتلميح بالإشارات واللمسات.

فاجئيه بقولك: "هل تعلم؟... في كل يوم أكتشف أني أحبك أكثر".... "نسيت أن أقول لك... أني أحبك".... "لو تعرف كم أحبك"... "اليوم كنت أفكر فيك وفجأة هبّت على قلبي نسائم حبك"... ولا حرج في أن تتغنّى له بقصيدة أو بأغنية تعبر عن الحب.

ولا ينحصر التعبير عن الحب باللسان فقد تكون القبلات واللمسات ولغة العيون أبلغ في إظهار الحب والبوح بما في القلب. كوني جريئة مع زوجك في هذا المضمار، وأشعلي جمر الحب الساكن ببعض الحطب.

قد تقول قائلة: "إني إذا فعلت ذلك قابلني زوجي بالاستهزاء والسخرية!!". وأقول: إن إصرار الزوجة على هذا الأسلوب، وعدم اليأس من تكرار ذلك يحمل الزوج على استحسانه والرد بمثله أو بأحسن منه، لكن

المهم أن تتخيّر الزوجة زماناً ومكاناً مناسبين للتقرب والتحبب. و أفضل مكان هو غرفة نومها و أنسب زمان هو اللحظات الحميمة التي تجمعها مع زوجها.

هل تحترمين زوجك؟

لا قيمة للحب بدون إظهار صنوف الاحترام والتقدير والإجلال، بل إن الزوجة التي لا تحترم زوجها لا تحبه بالضرورة.

إن الاحترام شعور قلبي بأهمية ومكانة ومقام الزوج يدفع لسلوك يتسم بمراعاة الألفاظ والسلوك في حضوره وغيابه على حد سواء.

- أصغِ لقوله بانتباه ولا تقاطعي حديثه.
- ناقشيه في قراراته وأفكاره التي لا توافقين عليها بأدب، وحذار من الاستهزاء بها.
- لا ترفعي صوتك في حضرته.
- لا تناقشيه في حضور الغرباء أو أمام أطفالكما.
- لا تناديه بما يكره من الألقاب والأسماء.
- لا توجهي له أية إهانة سواء كان ذلك بالتصريح أو التلميح.
- احفظي سيرته في غيابه وحذار من الحديث عنه بسوء أمام أحد من الناس.
- أطيعي أوامره فإن ذلك هو أبلغ الاحترام وجوهره ولا قيمة لكل أشكال وصور الاحترام إذا انتفى هذا الجوهر.

السمع والطاعة

إذا كان حبك لزوجك بمثابة القلب الذي ينبض فيضخ دفق الحياة للجسد، فإن السمع والطاعة بمثابة العقل الذي يحكم الجسد ويوجهه. إن زواجك بشخص معين يعني أنك قَبلت بقيادته لك، وأذنت له بالسمع والطاعة

فيما تحبين وتكرهين، وأنه عند خلافكما في أمر فإن رأيه هو الملزم ما دام يأمرك بمعروف، أما أن تُقبلي على الأمر بروح النديّة لزوجك فإن ذلك من علامات الفشل وبوادر الإخفاق.

إن الروح الحقيقية للزواج هي الانسجام والتوافق والمودة والرحمة، لكن يبقى للرجل قيادة سفينة الحياة الزوجية.

ولهذا فيقع عليك تفهم هذا الأساس المهم للوصول للسعادة الزوجية، ولا يعني ذلك مطلقاً إلغاء تفكيرك وشخصيتك أو عدم مناقشته في قراراته، فالزوجة العاقلة بنضجها في المواقف ورجاحة عقلها وبُعد نظرها وسمو فضائلها ونبل أخلاقها تستطيع الفوز بثقة زوجها وأن تكون مرجعا ومستشارا أمينا له في أمور الحياة كلها، ويصل الزوجان بهذا للانسجام والتوافق في إدارة الحياة ومواجهة أحداثها.

كيف تحفظ المرأة زوجها؟

للحفظ معانٍ كثيرة أهمها مراعاة الرباط المقدس بينها وبين زوجها بحفظ عرضها عن العلاقات الأثيمة، وحفظ نفسها عن الوقوع في الشبهات وخطوات الشيطان، وصون جمالها وزينتها عن غيره من الرجال، وحفظ أوامر الزوج وعهوده، وحفظ البيت والأولاد بالاهتمام والرعاية والخدمة، وحفظ مال الزوج من الإسراف والتبديد، وحفظ أسرار الزوج، وحفظ سيرته في غيبته، وحفظ اللسان عن الشكوى من ظروف الحياة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**خير النساء امرأة إذا نظَرْتَ إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك**"، (**وفي رواية مسلم: وإذا غبت عنها حفظتك في عرضها**) ثم قرأ رسول الله ﷺ قول الله عزوجل ﴿... فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ...﴾ [النساء: 34].

هل تخشينَ زوجك؟

احرصي منذ بداية الحياة الزوجية، أن تفرقي بين طاعتك واحترامك لزوجك الذي يصل لحد مقبول وإيجابي من مهابته، وبين الخوف والهلع منه والارتباك في حضرته.

إذا وضعت المرأة أو قَبلت أن يضع زوجها حاجزاً من الرعب والهلع بينهما، فسيصعب بعد ذلك كسر ذلك الحاجز، وبذلك تكون قد رضيت بحكم طاغية ومستبد صغير، ولن تستطيع بعد ذلك مجرد التعبير عن رأيها.

لقد أثبتت تجارب علماء النفس، أن الشخص نفسه هو الذي يوجه سلوك من يتعامل معه طبعا ضمن حدود ليست كبيرة لكنها مؤثرة، والمقصود أنكِ إذا واجهت شخصية محبة للسيطرة، تميل للعدوان والاستحواذ على الشخصية التي تقابلها، فإنك تستطيعين بشخصيتك الطبيعية القوية رفض هذه السيطرة من خلال أشكال مختلفة من المقاومة، التي من أهمها مصارحة صاحبها بصرامة ومفاصلة بأنكِ لا تقبلين سيطرته، وتكرار رفض سيطرته عمليا، ويكون كذلك بمنح صاحب هذه الشخصية بعض الاهتمام والحنان، لأنه في الغالب تحول لمستبد بسبب فقدان الحنان في الصغر أو إفراط في الدلال.

إن مقاومة هذه الشخصية يشبه إلى حد ما الأجسام وما يعتريها من أمراض، فوجود مناعة ومقاومة ورفض لميكروبات المرض يمنعه بإذن الله، ووجود قابلية في الأجسام للمرض واختفاء إرادة المقاومة تعني وقوعه.

لذلك فإن مقاومتك لسيطرة وعدوان زوجك لابد أن تكون في بداية الحياة الزوجية، لأنه في الغالب لا تنفع بعد ذلك سبل المقاومة إلا أن يشاء الله.

إن الزوجة بيدها سلاح تستطيع من خلاله أن تخفف من غلواء زوجها واستبداده، هذا السلاح ليس عند غيرها ألا وهو خصوص العلاقة الجسدية بين الزوجين، وما يحدث بينهما في المخدع، إنها تستطيع من خلال ذلك إشاعة روح المحبة والمودة والرحمة التي تطرد العدوان والاستبداد والرعب.

صدقك طمأنينة لزوجك

لعلك لا تتصورين مقدار الطمأنينة التي تشيعها المرأة في قلب زوجها، إذا عرف عنها صفة الصدق، ووثق بكلامها، إنه بصدقها هذا يغدو ويروح مطمئن القلب، وإذا تحدث معها في شأن علم أنها لا تقول إلا الحقيقة فيكون كلامها وشهادتها ومشورتها عنده صكاً مالياً مضموناً.

إن الزوج الذي تأكد من صدق زوجته وانتفاء خصلة الكذب عنها، لا يتردد في النزول على رأيها في الأمور، ويسارع إلى إجابة رغباتها، ويطمئن لتربيتها أطفاله.

لا تسلكي طريق الكذب

قولي الصدق مهما كان الثمن، استمري على الصدق حتى لو جربت على زوجك الكذب، ومهما أغراك الكذب بحلاوته، وسهولة النجاة به من المواقف المحرجة، فإنه مدمر للحياة الزوجية. أما المرأة التي ترضى الكذب مرافقا دائما لها في حياتها، فقد حكمت على نفسها وعلى زوجها بالقلق الدائم والاضطراب.

والمصيبة أنها عندما تكذب الكذبة تبقى خائفة مضطربة مترقبة سقف كذبها الآيل للسقوط في أية لحظة، تخشى من أن يفضحها واقع الحال، أو زلة لسان، أو يكشفها أحد من معارفها بحسن نية أو بسوء طوية، وفي معظم الأحيان لا يكاد يمر وقت يسير حتى ينكشف كذبها ويظهر زيف ما ادعت، فينفضح أمرها أمام زوجها أو أمام الناس وتسقط من أعينهم.

إن الكذب آفة خطيرة وصفة لصيقة بالمنافقين، فقد روى البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "**أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**".

يحبك واضحة صريحة

كثير من النساء يعجبهن الالتفاف والمناورة حول الهدف، ولا يبحن بمقاصدهن بشكل واضح مباشر، والرجل لا يحب هذا الأسلوب ربما لأنه لا يحسنه وليس مضطرا لسلوكه.

تعوّدي على الوضوح والصراحة مع زوجك، وحددي آراءك دون خوف أو مواربة، وكوني جريئة واثقة في اتخاذ مواقفك، وأعلني عن رغباتك، وما تحبين وما تكرهين.

ولا أعني في كلامي أن تنصحي زوجك بطريقة مباشرة تحرجه وتفضحه، لا فهذا ليس من أدب النصح، بل أقصد أن تصلي لأهدافك وما تودين قوله أو فعله، دون تقديم وتأخير ودون كناية ومواربة، لا تلغي مناصحة زوجك، بل انصحيه بما تعلمين أنه صواب، لكن ضمن أدب النصح الذي يتضمن أن تغلفي النصيحة بإظهار باعثها وهو المحبة والتقدير لزوجك والحرص على حياتكما.

ومن أحب أنواع صراحة المرأة عند زوجها جرأتها في إظهار حبها وافتتانها به، وبرجولته، وشوقها إليها، صارحيه بذلك مستخدمة ما حباك الله به من إغراء، واعلمي أن الحياء في هذا الموضع مذموم.

هل أنت شديدة؟

هل القوي الشديد هو من يكيل الصاع صاعين لمن يخطئ في حقه؟

وهل يفترض أن تقتص الزوجة من زوجها فترد عليه الكلمة بكلمتين، ويكون شعارها (العين بالعين والسن بالسن والبادئ بالشر هو الأظلم)؟

بالطبع لا، بل إن القوي الشديد هو الذي يحلم ويتسامح إذا أخطأ الناس في حقه.

والزوجة القوية الذكية هي التي تتحلى بالصمت عند غضب زوجها، وتطفئ غضبه بحلمها على جهله، وتشعره بخطئه في حقها من خلال تسامحها وصفحها الجميل، لقول الرسول ﷺ: "**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**" أي أن القوي هو الذي يحلم ويصمت عند ساعة الغضب ويحتوي من يقابله بالاحتمال والتجاوز.

إذا غضب زوجك وكان محقا في غضبه فسارعي بالاعتذار، لأن المكابرة وإصرارك على تبرير خطئك، يزيده غضبا، وبغضا لك، ويوسع فجوة الخلاف ويجدد التوتر بينكما، أما رجوعك للحق واعتذارك فهو امتصاص لغضبه حيث أنه لن يجد مبررا للاستمرار في نوبة الغضب.

أما إذا كان مخطئا في غضبه أو ظالما لك فلا تناقشيه في أي أمر ساعتها واطلبي باختصار تأجيل النقاش إلى وقت آخر. واعلمي أن الانتصار لنفسك لن يتم عبر رفع صوتك، وردك عليه بغضب مماثل، فإن ذلك من شأنه أن يزيد الطين بلة، ويقوي تشبثه برأيه، ويوسع فجوة الخلاف بينكما.

في حين أن حلمك وصمتك يدفعه ولو بعد حين لتفهم المسألة، وقد يعتذر تصريحاً أو تلميحاً عما بدر منه.

كيف تحاورين زوجك؟

إن أحدنا يملك كلمته قبل التفوه بها، أما إذا نطق بها فإنها تملكه، وقد تكون عاقبتها غير محمودة.

ينبغي على الزوجة الصالحة اللبيبة أن تتدبر الكلام وتزنه كثيراً قبل خروجه، وأن تعرف كيف ومتى تحاور زوجها؟ وأن تبصر عاقبة الكلام.

ويحلو لي هنا أن أسوق حوارين نقلاً عن الكتيب القيم محاورات زوجية لمحمد رشيد العويد، يصلحان كمثالين يدلان بعمق كيف يمكن للزوجة أن تتصرف إيجابا أو سلبا في الحوار مع زوجها وتوجيه أبنائها.

زوجة متسرعة

الحوار الأول يمثل الزوجة المتسرعة في كلامها ، والتي لا تحسن التصرف في توجيه أبنائها ، وتسبب الارتباك في منظومة الأسرة.

الزوج مخاطبا ولده: قم يا أحمد وخذ هذه الرسالة وسلمها لجارنا جاسم..

أحمد: حاضر يا أبي.

الزوجة: اقعد يا أحمد ولا تذهب.

الزوج: لماذا تمنعيه من الذهاب؟

الزوجة: أفي هذا الحر اللاهب ترسله؟ ابقِ الرسالة معك وأوصلها له أنت إذا خرجت اليوم من البيت.

الزوج: وإذا لم أخرج اليوم.

الزوجة: خذها معك غدا.

الزوج: ولكنها رسالة مستعجلة وقد يكون فيها ما يهمه.... قم يا أحمد ولا تستمع لأمك!

الزوجة: اجلس يا أحمد... ولا تذهب.

الزوج: أتشجعينه على عدم طاعتي؟!

الزوجة: أنت طلبت منه أولا ألا يستمع إليّ.

الزوج: لكنك أنت طلبت منه أولاً أن يجلس ومنعتيه من الذهاب...

الزوجة: فعلت هذا حرصا على ابني.

الزوج: أتعنين أنني لست حريصاً عليه!

زوجة بصيرة

ولننظر هنا لنفس الحادثة وكيف تتحاور فيها الزوجة العاقلة، وتتصرف بحكمة، وتنظر بعين بصيرة نافذة لعواقب الكلام، وتعلم ما يصلح أبناءها وحياتها مع زوجها..

الزوج مخاطبا ولده: قم يا أحمد وخذ هذه الرسالة وسلمها لجارنا جاسم..

أحمد: حاضر يا أبي.

الزوجة: عجل يا أحمد... وأوصل الرسالة لأبيك (يخرج أحمد بهمة ونشاط وحماسة).

الزوجة: كنت أتمنى لو أنك لم ترسل أحمد في هذا الوقت.

الزوج: وما السبب؟

الزوجة: الجو في الخارج حار جداً، و سيتعرق أحمد ليعود إلى البيت بجوه البارد.. وهذا يعرضه للمرض.. أنت تعرف حساسية صدره..

الزوج: أوه.. لقد غاب عني هذا.. ليتك طلبت منه البقاء.. و نبهتيني إليه.

الزوجة: لم أشأ مخالفتك أمامه.

الزوج: وماذا في هذا؟

الزوجة: لا أريد أن يشهد أحمد حواراً بيننا قد يتطور إلى خلاف.. فيؤثر في نفسه ويبعث فيها الحزن.. وقلت لنفسي: حر الجو خير من حر النفس.

الزوج: إنك حقا امرأة عاقلة.

يعلق الأستاذ محمد رشيد العويد قائلاً: "كلتا الزوجتين كانت محبة لولدها حريصة عليه لكن الأولى تعجلت في إظهار حرصها مما أدى إلى خلافها مع زوجها أمام ابنها..... بينما حرصت الزوجة الثانية على عدم مخالفة زوجها أمام ابنها، وأجلت الحوار والمعاتبة.. دقائق قليلة... من أجل ألا تترك هذه المخالفة آثارها السلبية على نفس ولدهما.. والتي منها:

- إحساس الطفل أن والدته تخالف أباه.

- شعور الطفل أن أباه يقسو عليه حين تبدو الأم رحيمة به.. فكأنما الأم تقول لابنها: أبوك يقسو عليك بإرسالك في هذا الحر.

- تحريض واضح للولد على عصيان أبيه.

.... وعليه فإن المرجو من الزوجات والأزواج التمهل في مخالفة الطرف الآخر، وتأجيله إلى وقت لاحق. والحرص على ألا يكون الخلاف - أياً كان - أمام الأطفال حفاظاً على نفوسهم، ومراعاة لمشاعرهم، ورحمة بهم." [انتهى كلام محمد رشيد العويد].

أسرار عليك حفظها

تنقسم أسرار الحياة الزوجية لثلاثة أقسام جميعها ينبغي على الزوجين حفظها، وأخطرها أسرار ما يحدث في المخدع بين الزوجين من خصوصية العلاقة الجسدية، حيث اعتادت كثير من الزوجات الجاهلات بحق الله، وقدسية الحياة الزوجية أن يجتمعن فيتهامسن ويتحدثن عما يصنعن في مخادعهن. ويتضاحكن ويتباهين عند ذكرهن لما يحصل بينهن وبين أزواجهن، ويلقين بالكلمات والإيحاءات ويحسبن ذلك هيناً وهو عند الله عظيم.

شيطان و شيطانه

إن بوح بعض الزوجات بتفصيل ذلك أو حتى باليسير منه للأمهات والأخوات أو الصديقات منكر لا يرضاه الله، واعتداء على قدسية الحياة الزوجية، ونشر للرذيلة والفاحشة ولقد شدد الرسول ﷺ النهي عن هذا الأمر. فمن حديث مؤمل عن أبي هريرة الطويل: ..... قال رسول الله ﷺ: **"هل منكم الرجل إذا أتى أهله فأغلق عليه بابه وألقى عليه ستره واستتر بستر الله؟" قالوا: نعم. قال: " ثم يجلس بعد ذلك فيقول فعلت كذا فعلت كذا". قال: فسكتوا. قال فأقبل على النساء فقال: "هل منكن من تحدث؟"** فسكتن فجاءت فتاة

على إحدى ركبتيها وتطاولت لرسول الله ﷺ ليراها ويسمع كلامها فقالت: يا رسول الله إنهم ليتحدثون وإنهن ليتحدثنه فقال: "**هل تدرون ما مثل ذلك فقال إنما مثل ذلك مثل شيطانة لقيت شيطانا في السكة فقضى منها حاجته والناس ينظرون إليهما**". (أبوداود - كتاب النكاح - باب ما يكره من ذكر الرجل ما يكون من إصابته أهله).

إن الخطورة في هذا السلوك لا تكمن فقط في طعن أهم أسرار العلاقة الزوجية في الصميم، وما قد يسببه ذلك من إيذاء للزوج بهتك ستره، وهبوط مقامه في مجتمعه، وتعييره بين الناس، أو حتى تعيير المتحدثة إذا دبّ الخلاف بينها وبين من أسرّت إليهن.

بل إن أثر ذلك يتعداه للمجتمع بأسره، حيث أن المتحدثة تقوم برسم صورة شفوية لمناظر تقترب من الصورة والفيلم الإباحيين بل إنها تكون أخطر منهما في أحيان كثيرة لأنها ترسخ في ذهن السامع فلا تندرس أبداً، فتوسوس له بالإثم والفحشاء.

أظن أن المثل الذي ضربه المصطفى ﷺ لذلك بشيطان يأتي شيطانة في الطريق على مرأى من الناس صورة منفرة وكافية أن تمنع كل زوجة صالحة من الخوض في أحاديث غرف النوم.

هل تنشرين غسيلك؟

أما القسم الثاني من الأسرار الزوجية فهو ما لا يخلو منه بيت من خلافات بين الزوجين، وما يعتري العلاقة الزوجية من كبوات وهفوات ومنغصات. وما يعتري العيش من إقبال المال و إدباره.

حلي خلافاتك مع زوجك بنفسك واستري العيوب واستعيني بالله عز وجل، واصبري وحاولي ولا تيأسي، حاوريه بهدوء في جو ودود واختاري الزمان والمكان المناسبين لذلك، كأن تكونا في لحظات انسجام في مخدعكما،

وإن لم تتوصلي لنتيجة فلا تحسبي أنك ستنجحين إذا قمتِ بنشر الخلافات أمام أهلك أو أهله.

إن مناقشة خلافاتك الزوجية مع الآخرين يشبه إلى حد ما إخراج طعام سريع العطب من الثلاجة وتعريضه للبيئة الخارجية التي ستفسده بلا شك.

لكن قد تضطر المرأة الصالحة إلى استشارة ناصح أمين في شأن خلاف زوجي. فلا بأس في ذلك مادام أنها تبتغي المشورة وتتكلم في عموميات ولا تخوض في تفاصيل، ولكن عليها أن تختار الشخص المناسب الثقة الصادق الناصح المؤتمن كأن يكون عالما جليلا عاملاً، أو امرأة صالحة عاقلة تقية مؤتمنة على الأسرار.

إن الخلافات الزوجية التي تطرحها الزوجة على الملأ، تسبب الأذى النفسي للزوج وتؤدي لشرخ كبير في علاقته بزوجته لا يمكن إصلاحه حتى لو سُوِّيَ الخلاف بينهما. خاصة إذا كان الأمر يتعلق بشكواها من ظروفها المعيشية والصعوبات المادية التي تعانيها بسبب فقر زوجها.

كوني بئر أسراره

والقسم الثالث من الأسرار الزوجية هو من باب حفظ ما يسرّ به الزوج لزوجته من أسرار حول عمله أو نشاطاته أو أهله أو أهلها وغير ذلك من شؤون الحياة التي لا تتصل بشكل مباشر بعلاقتهما، والزوج يفعل ذلك لأنه يحب أن يستمع له أحد ليعبر عما في نفسه من أمانٍ و أشواق، أو يفرّغ ما يجد من إخفاقات و إحباطات ومن باب شعوره بأنه هو وزوجته شركاء في كل شيء مدفوعاً بثقته بها، فلا تخيبي ثقة زوجك وكوني بئرا لأسراره.

قلوب مريضة

وعلى الجانب المقابل فإن بعض النساء وبحسن نية وثقة لا حد لها بأزواجهن، يثرثرن أمامهم بأسرار بيوت أخرى اطلعن عليها ويصفن جمال وأسرار بعض الصديقات والجارات والأخوات لأزواجهن.

والأدب النبوي الذي يحفظ البيوت والمجتمعات في هذا الصدد هو نهي المرأة أن تصف محاسن أية امرأة أخرى لزوجها أو لأي رجل أجنبي عن تلك المرأة. لأن الوصف قريب من المشاهدة، روى البخاري عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها"**.

المباشرة هنا كناية عن رؤية النساء لبعضهن بدون حجاب فتطلع الواحدة على تفاصيل جمال ومحاسن الأخرى التي كانت خافية بالحجاب.

إن الضرر الأول الذي يقع عند إتيان المرأة هذه المخالفة الشرعية إنما يقع عليها، لأنها بذلك تجعل للشيطان على زوجها سبيلاً بأن يقارن بينها وبين تلك المرأة، وتطلق لخطرات زوجها العنان بالتخيل والأوهام، فيزهد فيها ويصل الحد ببعضهم أن يصرّح لزوجته بأن فلانة أجمل وأبهى وأحسن وبهذا فإن المرأة تنغص عيشها بنفسها.

ثم إنه باب يلج منه الشيطان لمرضى القلوب من الرجال وما أكثرهم فيطمع في تلك المرأة الموصوفة، ويترتب على ذلك الكثير من الفساد وخراب بيوت الزوجية.

وكذلك بوح المرأة لزوجها بأسرار بيوت الأخريات وخلافاتهن مع أزواجهن. ونحو ذلك من عورات البيوت قد تُطمع من في قلبه مرض لاستغلال نقاط الضعف وإيجاد الثغرات للفساد والإفساد.

نظافتك.. سر جاذبيتك

تفهم بعض الزوجات مفهوم الجمال فهما سطحيا ، فتظن إحداهن أنها تبلغ قمة جمالها ، بوضعها لأحمر شفاه براق، ونثرها البودرة على خديها ، وصنع حفرتين داكنتين حول عينيها ، والمبالغة في طلي بشرتها بالمبيضات، وإكثارها من رش أنواع العطور على الجسم والثياب، ثم إنها تلبس آخر صرعات الموضة التي تظهر مفاتنها وتتبع ذلك بلبس ما عندها من حلي وجواهر.

وبعد كل ذلك المهرجان الفلكلوري الذي صنعته بنفسها ، لا تجد الإقبال من زوجها!! فتتساءل ماذا يريد ؟؟ وكيف أتصنع وأتزين له؟! ألم أبلغ قمة الجمال بما صنعت؟!

أقول: لا ، لم تبلغي قمة الجمال مطلقاً ، بل تركتِ ثمرة ولب الجمال، وتمسكتِ بقشوره.

انظري لنظافتك الشخصية ولنظافة بيتك لتعرفي سر عدم احتفاء زوجك بالمهرجان الذي صنعتِ.

هل تعانين من عقدة نقص؟

لا شك أن إفراط المرأة في التبرج والزينة وتتبع صرعات الموضات البلهاء هو عقدة نقص، وتعبير عن فقر وخواء روحي، وهروب من مواجهة المسؤوليات، فالمرأة الطبيعية هي التي تكون واثقة من قدراتها ، وليس لديها شعور بالنقص يدفعها إلى المبالغة في الزينة وتتبع الصرعات الشاذة لبيوت الأزياء، أما المرأة التي تشك في نفسها وينتابها شعور بالنقص تجاه الأخريات من أترابها تحاول أن تؤكد شخصيتها في دائرة الأنوثة بالاستزادة من الزينة.

إن الجمال روح تسري في سائر تفاصيل البيت مهما كان هذا البيت متواضعا ، فقد تزورَ بيتاً صغيراً متواضعاً في شكله ومحتواه، أحالته صاحبته النظيفة المرتبة الجميلة إلى قصر تسعد إذا جلست فيه، وتسري إليك روح من

الجمال والأنس لا تجد لها تفسيرا، وتردد دون أن تشعر: ما أروع صاحبة هذا البيت.

في حين أنك تزور بيوتاً مترفة تزدحم بالأثاث، وتتناثر في صالوناتها التحف الباهظة وتتدلى من سقوفها الثريات المتلألئة، فتحس بإعتام روحك، وضيق صدرك.

إذا كان هذا حال الزائر الذي لا يطلع على تفاصيل هذه الدار ولا يدخل إلى مرافقها، فكيف هو حال الزوج القريب من كل تفاصيل بيته؟!

ماذا يستفيد الزوج عندما ينتقل من حياة العزوبية التي تملؤها الفوضى غالباً إلى بيت الزوجية الذي لا تراعي فيه الزوجة النظافة والترتيب، ولا تراعي نظافتها الشخصية وتكتفي بالإقبال على أدوات الزينة!!

الماء أزكى عطورك

- عودي لروح الحياة، عودي للماء الذي هو أزكى عطر في الحياة، واجعليه محور نظافتك ونظافة بيتك.
- احرصي ألا يشم منك رائحة منفرة من عرق أو دم أو رائحة فم غير زكية.
- لا تضيعي صباحك وهو العمود الفقري لوقتك في النوم أو تبادل الزيارات مع الجارات والثرثرة الهاتفية، فإن المرأة التي تباشر أعمالها في وقت البكور المبارك حيث قال رسول الله ﷺ:"بورك لأمتي في بكورها" لن يأتي عليها وقت الظهيرة إلا وقد أتمت أعمالها الأساسية ولم يبق عليها إلا ما خفّ وقلّ من أعمال.
- احرصي على إنهاء أعمال التنظيف والترتيب دون تأجيل أو تأخير، فمثلا إذا كنت تعدّين الطعام فاغسلي الأدوات والأطباق أولاً بأول، وإذا أنهيتم وجبة طعامكم، فبادري فورا بإعادة المكان نظيفا مرتباً

كما كان، وإذا انصرف الضيوف، فلا تتركي آثار وفادتهم تتناثر هنا وهناك. ودائما تكون حجتك **للتأجيل** (أني متعبة، وسأفعل ذلك بعد أن ارتاح **قليلاً**)، وثقي أن القليل من التعب والسهر لن يسببا لك الإزعاج والضرر، في حين أن تأجيلك لهذه المهام يسبب كثيرا من الضرر النفسي لزوجك، فإن الرجل يحب المرأة المبادرة النشيطة التي تستيقظ قبله وتباشر رعاية بيتها، وينفر من الكسولة المتراخية في أداء ما عليها من مهام.

كوني مرتبة ودققي في التفاصيل

اعلمي أن لزوجك عينين تدققان في تفاصيل الأشياء والأفعال، وتحلل المدخلات، وتقارن ما تصنعين بما تصنع نساء أخريات من أهله أو أهلك أو حتى صديقاتك.

وفي كثير من الأحيان لا يبدي الزوج ملاحظاته أولاً بأول، لكنه يفاجئ زوجته بما تراكم في نفسه، ويخرج تحفظاته وملاحظاته دفعة واحدة، عند حدوث مشكلة، أو عند بلوغ الزوجة حداً في التقصير لا يمكن التغاضي عنه، فيندفع للقول بغضب مثلاً:

- بدلاً من مكوثك عند أهلك يومين أليس من الأجدر بك أن تنظفي زجاج النوافذ؟ ألم تنظري لنوافذ جارتك كيف تتلألأ؟
- ألم تلاحظي أنه مضى على الملابس المغسولة ثلاثة أيام وهي ملقاة في الخزانة دون طي أو كي.
- أبشرك يا زوجتي العزيزة... اليوم ضيفنا العزيز قام بمسح الغبار من على المكتبة بالنيابة عنك!
- الزوجة: أوه.. لقد حان موعد ذهابك ولم أكوِ لك قميصك.

- الزوج: الله يرحمك يا أمي رحمة واسعة، كنت دائما أجد في خزانة ثيابي ثلاثة قمصان على الأقل مكوية وجاهزة.

وهكذا فإنه يقع عليك التركيز في شؤون وتفاصيل بيتك، وأن تسدّي أية ثغرات قد تسبب لك ملاحظات مؤلمة، وفري على زوجك عقد مقارنات ليست في صالحك، لابد أن تشعريه أنك شمس النساء، وأنك أسبقهن في كل مضمار.

مائدة عامرة

هل صحيح أن "طريقك إلى قلب زوجك يكون عبر معدته"؟

أظن أنه كلام صحيح إلى حدٍ ما، لأن المائدة الطيبة، ليست فقط لسد جوع الزوج أو إشباعه. بل هي جزء من إحساسه باهتمام زوجته وحبها ورعايتها. وركن أصيل في البيت السعيد والإحساس بالانتماء إليه، وإحياء دائم لذكرياته السعيدة.

ألم ينتابك شعور بالحنين والسعادة، عند اشتمامك لرائحة طعام معين، كنت تأكلينه في بيت والديك، أو بيت جدك في سني الطفولة والصبا؟ هذا ما يحدث مع الزوج فبعد مضي فترة من الزواج، يرتبط ارتباطاً روحيا بمائدة زوجته. ويشده الاجتماع عليها مع زوجته وأولاده.

إن زوجك يحبك مهتمة بإتقان عمل الأصناف التي يرغبها من الطعام والحلوى. ويحبك أن تفاجئيه بأصناف جديدة وأن تخبريه أنك تعلمتِ عمل هذه الأصناف لأنك تحبينه.

مكملات مهمة للمائدة

ومن مكملات المائدة الطيبة نظافة وترتيب المكان الذي تقدم فيه، لأنه كما يقال (العين تأكل قبل الفم أحياناً).

احرصي كذلك على أن تكون مائدتك متنوعة وصحية نافعة لزوجك وأولادك، و احذري من المبالغة والإسراف في كميات الطعام وأشكاله، إن هذا الإسراف يؤدي بلا شك إلى رمي الكميات الفائضة في سلة المهملات وهذا مما يبغضه الله ومما يسبب الحرمان من نعم الله الوهاب.

يحبك مهتمة بـ .....

- بإيقاظه للعمل إن كان نائما، ليتناول فطوره قبل أن يذهب، فإنه يحزن أن يذهب لعمله وأنت نائمة، وأن يتناول فطوره في عمله فيكون وسيلة لتندر زملائه خاصة العزاب منهم.
- باختيار ملابسه وكيها وتناسق ألوانها، ومساعدته في ارتداء بعضها وخلعه، وتعليقها في أماكنها المناسبة.
- بحاجاته الشخصية وحفظها ومعرفة أماكنها، وكذلك الأوراق الرسمية الخاصة بعائلتكما.
- بإكرام والديه وأهله وأصحابه.
- بأحاديثه وموضوعاته واهتماماته.
- بمدحه والثناء عليه بما يستحق.
- بالسؤال عما يمر به من أمور طارئة كمرض أو مشاكل في عمله.

لا تهملي في زينتك

إن إشارتي فيما سبق لنوع من الزوجات ينحصر فهمهن للجمال في المبالغة بالزينة الظاهرة وإهمال النظافة في أنفسهن وبيوتهن لا يعني إطلاقا أن تهمل المرأة تزينها لزوجها، خاصة في هذه الأيام العصيبة بسبب ما يرى من عموم بلاء التبرج والتعري، و فشو الاختلاط في أماكن الدراسة والعمل، والقاذورات التي تلقيها القنوات الفضائية ومواقع (الإنترنت).

إن التحدي الذي يقع على الزوجة الصالحة كبير، وهو حفظ زوجها من هذا الغزو الجارف ومن هذا التيار المنحرف، ولن تتمكن من ذلك إلا من خلال اجتذابه لتكون هي مرجعه وملاذه، لابد أن يراها دائماً في أبهى صورها وأن يجد عندها من فنون إغرائه ومن جمالها وجاذبيتها ما يصرفه عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن. أما أن يرى الزوج في العمل والأسواق المتبرجات المتعطرات المتزينات ثم لا يجد ذلك عند امرأته، فتلك مصيبة.

مبررات خاطئة

إن من آفات الزوجات في مجتمعاتنا المعاصرة أنك تجد المرأة منكوشة الشعر، مبتذلة المظهر في بيتها، في حين أنها تخرج إلى الشارع أو العمل أو عند اجتماع صديقاتها في أتم زينتها، ولعلها تبرر عدم تزينها لزوجها بانشغالها في شؤون بيتها أو أولادها وتقول: "إن المهمة المطلوبة منها الآن هي الاهتمام بالأولاد وتربيتهم وتعليمهم، فقد أخذ الزوج حظه ونصيبه فيما مضى من سنوات!!"، وإذا تعدت سن الأربعين وتزوج بعض أبنائها فقد يمنعها حيائها - وهو حياء مذموم - من التزين وإظهار صنوف الإغراء لزوجها.

ومن الآفات في هذا الباب أيضاً أنك تجد شاباً يتقدم لخطبة فتاة فيراها في أبهى صورة، ويبقى الحال كذلك حتى إذا تزوجها ومضى على زواجهما سنوات أو أقل من ذلك، تبدأ الزوجة بالإهمال في زينتها، وتقول لنفسها: "ليس عليّ أن أتزين أو أتكلف ذلك فقد اصطدت زوجاً وانتهى الأمر" وهي تظن أن عقد الزواج يعني أن زوجها عبارة عن أرض أو عقار مكتوب باسمها، لا تستطيع أية امرأة أخرى أن تتملكه.

إن هذه الزوجة ترتكب في حق نفسها خطأ قاتلاً، إذ يؤدي إهمالها في نفسها إلى تصدّع وانهيار الصورة التي رسمها الرجل في فترة الخطوبة عنها. ويزيد من إحباط الرجل التعود والألفة التي تقتل المشاعر.

على هذه الزوجة التوقف عن الحسابات الخاطئة ولتعلم أنه بمجرد أن ينظر زوجها إليها فلا يرى منها إلا الإهمال والابتذال في زينتها، فتتجه عيونه أو تفكيره لخارج البيت يعني أنها خسرت المعركة، وفقدت زوجها.

كيف تجذبين اهتمام زوجك؟

ليس من العجيب أن نرى امرأة جميلة يهملها زوجها ويتطلّع إلى غيرها، بينما نرى زوجة أخرى أقل جمالاً ولكنَّها تمتلك قلب زوجها وعواطفه بحفاظها على أناقتها وحرصها على نظافتها وبهاء زينتها وملابسها، كما أنّ المرأة الذكية هي التي تعرف جيِّداً أنّه ليس هناك أجدى من اللباقة في تحقيق الانسجام مع زوجها، فلباقتها هي سحرها الذي يسمح لها أن تنفذ إلى أعماق قلبه ووجدانه. واللباقة تعني ببساطة، الكلمة المناسبة، الفعل المناسب، ردّ الفعل الذكي. أيتها الزوجة العزيزة ابذلي مزيدا من الجهد كوني جميلة الروح، جميلة البيت، جميلة الأخلاق، جميلة الثياب والمظهر.

للدلال والتمنع حدود

لا غضاضة في إظهار المرأة لبعض الدلال والتمنع اللحظي عند طلب زوجها لها، فهذا ليس من باب الامتناع عن تلبية رغبته، بل هو نوع من الغزل والتغنج المطلوبان في المرأة. أما أن تمتنع المرأة عن فراش زوجها بحجة أنها لا ترغب في الأمر أو أنها غير جاهزة وغير مستعدة أو تشعر بالتعب والإرهاق أو أنها تعاقبه بالحرمان، فهذا غير مقبول مطلقاً.

على الزوجة أن تفهم أن حاجة الرجل للمرأة تتسم بالقوة والنهم عموماً، وتصبح حاجته هذه من أكبر المشوشات عليه في دينه ودنياه إن لم تُشبع على النحو الذي شرعه الله.

تحذير نبوي

حذر الرسول ﷺ المرأة أشد التحذير من الامتناع عن فراش زوجها فقد أورد البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح**".
وفي رواية: "**والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها**". (أي حتى يرضى عنها زوجها).

إنه تحذير نبوي من خطورة امتناع المرأة عن فراش زوجها، ووصية لها بأن لا تتلكأ في الاستجابة لزوجها إلا إذا منعتها عبادة مفروضة عن الجماع كصيام رمضان أو الإحرام لحج أو عمرة، وأما إذا كانت معذورة في مرض أو حيض فينبغي أن تستجيب له بقدر ما تسمح به حالتها الصحية، وله أن يستمتع بها وهي حائض في حدود ما سمح الشرع بالتمتع بالمرأة الحائض دون إتيانها، أما إذا دعاها لحرام كأن يأتيها وقت حيضها أو في دبرها فإنها تمتنع عن ذلك لأنه معصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

إن امتناع المرأة عن تلبية حاجة زوجها بمثابة تركه فريسة لوحش الرغبة الجامحة، وإلقائه في أتون مشتعل من الشهوة ، بحيث لا يقر له قرار ولا يغمض له جفن فيتقلب على شوك السهاد في الليل، ولا يحسن عملاً في النهار.

وهذا يفسر وصية الرسول ﷺ للمرأة بتمكين زوجها من قضاء وطره منها مهما كان نوع انشغالها، أو على أي وضع كانت، روى الترمذي عن أبي علي طلق ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور**". (النار التي يخبز فيها الخبز).

قياس خاطئ

إن كثيراً من النساء يقسن حاجة أزواجهن إلى الجماع على حاجتهن إليه، وهذا قياس خاطئ فحاجة الرجال أشد، وصبرهم على الجماع أضعف، وتأثرهم بمشاهدة النساء أعظم كثيراً من تأثر النساء بمشاهدة الرجال، وحضور المرأة في نفس الرجل أكبر من حضوره في نفسها.

و لذلك فإن المرأة لا تصوم في غير شهر رمضان إلا بإذن من زوجها، لأن حقه في الاستمتاع بها مقدم على تطوعها.

وبالتالي فينبغي على المسلمة ألا تشعر بضيق أو حرج أو شعور بالتفريط عند ترك بعض النوافل (غير الفرائض) من صيام أو صلاة أو تلاوة لكتاب الله عند تعارضها مع رغبة وحاجة الزوج، ولتعلم أن تلبيتها لحاجة زوجها قربة وطاعة يحبها الله ويقبلها منها لا تقل عن تنفلها بل هي أوجب و آكد، وأن الله واسع عليم شكور يطلع على صدق نيتها في أداء النوافل وأنه لم يمنعها من ذلك إلا طاعة الزوج فيثيبها عليها كأنما فعلتها، وييسر لها فعل الخيرات والتقرب بالطاعات.

التمسي لزوجك عذراً

لا أشك أنه يصعب على الزوجة أن تتقبل وجود زوجة أخرى تشاركها في زوجها، بل إن العرب سمتها ضرة لما في ذلك من الضرر، لكن قبول الأمر ليس مستحيلا، وعلى الزوجة الصالحة العاقلة أن تتفهم الأمر وتتقبله وتتعايش معه بحكمة وصبر.

إن المرأة الصالحة التي ترضى بأحكام ربها لتطامن مما تظن أنه كبرياء وكرامة، وتتحمل الشعور المنغص بالغيرة الذي جبلت عليه، لأنها بالمقابل تتفهم حاجة زوجها للتعدد، بسبب ميله الفطري للتعدد الذي جُبل

عليه، ولما يعتريها من نقص في إشباع حاجته وقت حملها و نفاسها و حيضها ومرضها، وتتفهم المصلحة الكلية التي ينشدها الإسلام للمجتمع في إباحته لتعدد الزوجات.

إنك لتجد بعض النساء المسلمات يقبلن بأن ينظر أزواجهن إلى ما حرم الله، وأن يقع أزواجهن في المعاصي على أن لا يقدموا على الزواج بأخريات، فإذا خيّرت المرأة منهن بين أن يتزوج زوجها فلا يقع في الإثم وبين أن يأتي المعاصي التي تصل لدرجة الكبائر سراً على ألا يتزوج لتختار الأمر الثاني حتى لا يخدش بهذا كرامتها وكبرياءها أمام مجتمعها، ولا أشك أن هذا تقديم لرضا نفسها على رضا ربها. وإيثار لانتهاك حرمات الله على كرامتها المزعومة.

صوني جمالك

جمالك جوهرة مكنونة... لا أدري كيف تسمحين لنفسك ببذلها للرائح والغادي في الطريق؟؟

هذا الجمال الذي منحه الله لك هو من حق زوجك فقط، لابد أن يشعر أنه الوحيد في هذا العالم الذي له حق الاستمتاع بالنظر إلى هذا الجمال.

إذا كان زوجك متساهلا في هذا الباب، فلا تكوني كذلك واحرصي على إفهامه أنك تسترين جمالك عن أعين الناس نزولا على أمر الله عزوجل الذي أمرك بذلك حفظا لك ولسائر المجتمع، ثم إرضاءً لزوجك، واحتراماً لغيرته.

أقول لكل زوجة متبرجة متساهلة في إظهار زينتها أنها تساهم في إشاعة أمر يبغضه الله ولا يرضاه لمجتمعها، هذا أولاً، وثانياً فإن الخلط الخبيث المقصود بين الحرية والتعري واعتبار أن خلع المرأة للحجاب الذي فرضه الله هو تحرير لها من القيود وتنوير لعقلها من الظلمات هو كفر واتهام لدين الله العظيم بالظلم والظلام.

عالم أميركي: المرأة ثمرة كرز

إن الدراسات الحديثة حتى في الغرب الذي تعرى من كل غيرة وفضيلة، أثبتت أن تعري المرأة جعل منها سلعة رخيصة لترويج المنتجات، ولإمتاع عيون الذئاب البشرية.

لقد أشارت دراسة إلى أنّ أزياء المرأة غير المحتشمة تداهم عيني الرجل وتضعهما أمام خيار واحد لا ثاني له وهو التركيز على شكل المرأة فقط دون أن يترك ذلك أدنى فرصة لاستشعار الجوانب الوجدانية والعقلية فيها. وفي هذه الحالة تسيطر الغريزة والرغبة فقط، بينما يتيح احتشام حواء ووقارها الفرصة للرجل للتركيز على جمال أخلاقها وعقلها وجاذبيتها.

وتقول الدراسة: كلّما أبرزت المرأة جمالها الشكلي المرتبط بالزمن، أخفت من جاذبية روحها التي تغالب الأيام وتصمد أمام مصاعب الحياة.

كما أن احتشام المرأة كما تقول الدراسة هو الدرع الواقي لها من حوادث الاعتداء وخدش الحياء والمرتبطة كماً وكيفاً بما يسمى بتحرُّر المرأة ومغالاتها في ارتداء الملابس المكشوفة؛ مما دفع "جيمس هويل" اختصاصي علم النفس الأمريكي للقول: "إنّ المرأة كثمرة الكرز.. تتبرّج لتجلب على نفسها الشقاء، لأنه لا يفسد إلا الكرز المكشوف للحشرات والهواء".

لا تحرقي قلب زوجك

تلجأ بعض الزوجات بهدف إشعال حب أزواجهن إلى إثارة غيرة الزوج بالحديث بإعجاب عن رجل من النجوم والمشاهير أو رجل من محيط الأهل والمعارف، وقد تتمادى بعضهن في جلسات الاختلاط والصخب إلى إظهار الاهتمام بغير زوجها من الرجال، فإذا غضب الزوج، شعرت الزوجة بأنها نالت مرادها، وأن غضبه دليل محبته، وترد على غضبه بكل برود وسماجة: "كنت أختبر حبك لي يا حبيبي!!".

أقول: فضلا عن أن هذا التصرف مهما صغر حجمه أو ندر وقوعه قد حرّمه الله عزوجل تحريماً قاطعاً، على هذه الزوجة الجاهلة أن تعلم أنها لم تشعل مشاعر حب زوجها لها، بل أحرقت قلبه، حتى صار أرضا يبابا لا ينبت فيه حُب، ولا تحيا فيه ثقة، وقادت زوجها إلى شك مدمر.

إن إظهار المرأة الإعجاب بغير زوجها يجر عليها أن يطمع فيها ذئاب البشر، فالكثير من النساء لا يعلمن كيف يفكر الرجل بشكل عام بالمرأة التي تثرثر معه، أو تتصنع أمامه المزاح والضحك، إنه يعتقد أنها ترغب في إقامة علاقة معه، ثم إنه يذهب بعيداً في ظنونه، ويتمادى في تصرفاته، وكم خربت بيوت زوجية عامرة بسبب جهل وغباء صاحباتها.

أظهري لزوجك أن كل رجال الدنيا لا يملئون عينيك، وأنه الوحيد الذي يستحوذ على قلبك، قولي له مثلا: "هل تعلم يا زوجي الحبيب أني أعتقد أنه لو لم تتزوجني أنت، لم أكن لأرضى بأي رجل آخر أن يتزوج بي".

أذكر أن صديقا لي كان ينقل لي كلاماً عن زوجته يشبه هذا الكلام، بل إنها كانت تقول له: "أنا لا أستطيع أن أشارك أحداً من الناس في طبق طعام واحد أو كأس شراب واحدة إلا أن تكون أنت فإني أحب هذا" وكان ينقل لي ذلك وهو في منتهى السعادة والثقة بنفسه والشعور بالرضى من زوجته.

احفظي سلوكك

وكما أنه مطلوب منك حفظ لسانك عن إثارة غيرته، فإن حفظ سلوكك أهم وأعظم، لا ترتادي مجالس الاختلاط، وإذا اضطررت فكوني قريبة من زوجك. لا تنظري إلى غيره، وتحفظي على سلوكك وحديثك، ولا توزعي الابتسامات والضحكات، وإذا كنت تعملين في مكان وحولك زملاء، فتصرفي بمنتهى التحفظ والاحترام.

وتصرفي بمنتهى الصرامة والفظاظة مع من تسوّل له نفسه أن يطمع فيك من الذئاب البشرية، واعلمي أن الرجل الذي يرى في امرأة صرامة في ردة فعلها على محاولاته الدنيئة، يهابها ولا يقترب منها البتة، على عكس أن يرى منها صمتا أو معالجة له بالأناة والحلم والصبر، إنه يظن عندها أنها ترغب في إقامة علاقة معه لكنها تتمنع من باب أنها صيد ثمين ليس سهل المنال.

زوجك أم أهلك؟

وعلى صعيد آخر فقد تثير المرأة غيرة زوجها من خلال اهتمامها المبالغ فيه بأهلها وزيارتهم واستضافتهم في بيته، فيغدو الزوج ويروح إلى بيته ووالدا زوجته أو من ينوب عنهما حاضرون في بيته، وإذا غابوا ليومين أو ثلاثة ذهبت الزوجة لزيارتهم والمبيت عندهم، وحجتها المتكررة (هم والداي وإخواني وأهلي) (أختي تأتي في إجازة عند أهلي ولا أمكث عندهم أسبوعا على الأقل) (زيارة أهلي أفضل من انتظار عودتك من دوامك الطويل).

هناك نوع من الأزواج لا يظهرون امتعاضهم من هذا السلوك، لكن يتراكم الأمر في نفوسهم حتى تصل الأمور لطريق مسدود من انفصال أو منع لزوجته بالمطلق من زيارة أهلها أو استقبالهم في بيته.

إن الزوجة الصالحة تعلم أن أعظم الناس حقا عليها زوجها وليس أبويها وأن الزوج يأتي في بؤرة اهتماماتها ومن عداه فيأتون في مرحلة ثانوية، إن اهتمامها بتفاصيل بيتها وتتبع مرضاة زوجها مطلوب منها في المقام الأول وإن الزوجة الفطنة هي التي تمارس اهتمامها بمن لهم حق عليها من أهلها وأصدقائها باعتدال وتوسط.

تجسس وتقصي حقائق

بعض الزوجات يسرفن في الغيرة على أزواجهن. وتتابع إحداهن زوجها وتتجسس عليه وتتقصى أخباره من أصدقائه ومعارفه، حتى ينتهي الأمر بأن يشعر بالحصار والاختناق.

نعم إن غيرة المرأة في حدودها الطبيعية أمر إيجابي ومحمود، ويزيد من حب الزوج لكن أن تتحول غيرة المرأة لملاحقة وتجسس، ولجان تقصٍ للحقائق فإن ذلك يؤدي لتنغيص الحياة الزوجية وقد يقتلعها من جذورها.

لقد أوصى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ابنته فقال: "إياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتب، فإنه يورث البغضاء....".

امنحي زوجك الثقة مع بعض الحذر، والجئي للمصارحة الذكية، والمكاشفة الفطنة. عند ارتيابك به.

هل أنت في معركة؟

تقبل بعض الفتيات على الزواج بقرار مسبق هو أنها ستعيش مع أهل زوجها أجواء معركة تحتاج فيها لليقظة وتصيّد عثرات العدو وثغراته، وتحتاج للدفاع والرد السريع عن حقوقها، وأنه قد يلزمها أن تشن حرباً وقائية، حتى تكون مهابة الجانب ويُحسب لها ألف حساب!

إن هذه القرارات المسبقة خاصة إذا كانت من الطرفين فإنها سبب مهم لفشل الحياة الزوجية وتقويضها من الأساس.

إن هذه الأحكام المسبقة وأخذها بعين الاعتبار لدليل على ضعف الإيمان بالله، وذهاب الوفاء.

إن على الزوجة أن توقن أن أعظم الناس حقا على زوجها ليست هي بل والديه، وأنه ينبغي أن يكون عظيم الوفاء لما صنعا من أجله، هذا أمر الله عز وجل، وبالتالي فلابد أن يدفعها إيمانها بالله عز وجل والالتزام بما يحب ويرضى أن تحمل هي زوجها على بر والديه والوفاء لهما، وإكرام إخوانه وأخواته إرضاء لوالديه.

وإذا علمت الزوجة الصالحة أن من أكبر الذنوب وأشدها عقوق الوالدين وأن عقوبة هذا الذنب تقع في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فقد وردت الآثار: (كما تدين تدان) (بروا آباءكم تبركم أبناؤكم)، فبر أبناء المستقبل ثمرة طيبة لبر الآباء في الماضي، وعقوقهم ثمرة مرة لعقوق الآباء.

كيف تعاملين أهله؟

إليك بعض النصائح التي تضمنين بها إسعاد نفسك وزوجك في هذا الشأن، وتضمن لك الشعور بالرضى والوصول لمرضاة الله في هذا المضمار:

- اعلمي أن شريك حياتك قبل أن يكون زوجاً لك، فهو ابن غالٍ لوالديه بذلا من أجله الغالي والنفيس فهما يتوقعان منه الكثير، وهو أخ محب حانٍ بالنسبة لإخوانه، لذلك تفهمي شعور أهله الطبيعي تجاهك كإنسان غريب، جاء فجأة ليشاركهم قلب وحب واهتمام ولدهم، إن سلوكك المقبل مع أهل زوجك هو الذي يحدد مدى نجاح عملية زراعة هذا العضو الجديد في جسم العائلة، هل يتقبله الجسم أم يرفضه؟ فإن رأوا منك التقدير والاحترام وبذل المحبة والرعاية، ولمسوا أنك تدفعين زوجك لبرهم والتقرب منهم وحبهم والاهتمام بشؤونهم فستملكين قلوبهم، ويعتبرونك ابنة لهم، والعكس بالعكس.

- السبيل الوحيد لكسب قلب زوجك، هو أن تتألفي والديه بالاحترام والتقدير، والإحسان إليهما والسرور بلقائهما، وأن تعتبريهما مثل والديك تتفانين في خدمتهما، وكذلك أن يجد زوجك منك الحث على بر والديه وصلة وإكرام إخوته وأخواته.
- اصنعي مع والدي زوجك ما تحبين أن يصنع أولادك معك عند كبرك.
- غضي الطرف عن الهفوات، وتجاوزي الخلافات الصغيرة، وحذار من الخوض في قيل وقال فإن الله يكره ذلك، وكم سيسر زوجك بك عندما يرى نضجك العقلي وارتفاع مستواك عن توافه الخلافات.
- لا تقتربي أبدا من بعض الخطوط الحمراء بالنسبة لتعامل زوجك مع والديه، مثل أن يكون منفقا أو مساهما بالإنفاق عليهما، فتسوّل لك النفس الشحيحة أنك وأولادك أولى بهذا المال من أبويه، إن هذا يعني أنك تحكمين على بيتك بنزع البركة، فربما كان التوفيق والبركة بدعاء والديه له بسبب إنفاقه عليهما. إن الولد بالنسبة لوالديه شجرة بذلا كل ما يملكان لرعايتها، أملا في ثمارها وعطاياها.
- كوني إيجابية في التعامل مع أهل زوجك، واعلمي أن مقابلة الإساءة بالإحسان هي السبيل الوحيد لإذهاب الشحناء وتسوية الخلافات والاستحواذ على القلوب، يقول الله عز وجل: " وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ " [فصلت: 34]. اجعلي الباعث لإحسانك إيمانك بالله وطلب الأجر والمثوبة منه.
- تحدثي بذكاء وتصرفي بفطنة أمام أهل زوجك، كوني أنت وبيتك وأطفالك دائما على استعداد لاستقبالهم، وليس هنالك أي داعٍ

لذكر حب زوجك وهداياه وعطاياه لك ولأهلك، لأن ذلك يثير غيرة أهل زوجك.

- اعلمي أن زوجك مأمور بحسن مصاحبة والديه خاصة عند كبرهما وضعفهما، فإذا أقام أحد والديه أو كلاهما في بيت زوجك، فصاحبي بالمعروف وتفاني في الخدمة، وأظهري المودة والحنان، واصبري على ما قد يقع من خلاف، وفوّتي الفرصة على الشيطان في تعظيم الخلافات الصغيرة، واعلمي أن الإنسان مجبول على حب من يحسن إليه ويهبه الحنان والرعاية، خاصة الكبير فهو في ضعفه ووهنه يكون رقيق القلب، مرهف المشاعر، يشكر من يرعاه بعمق، لكنه لا ينسى الإساءة ولا يسامح من يؤذي مشاعره، واعلمي أنه قد يقع من كبار السن الضجر والغضب والسخط على بعض الأمور بحكم الفارق في السن وبحكم وهن الجسم وأسره لصاحبه في الفراش، اذكري الله واطلبي لك ولهما المغفرة، واجعليهما سببا لبر أبنائك بك عند اشتعال شيبك ووهن عظمك، وطريقك لجنة عرضها السماوات و الأرض.

زوجة مبذرة

تظن بعض الزوجات أنها بالاقتناص من مال زوجها، وتحقيق رغباتها الشرائية التي لا تنتهي (شاطرة وذكية) وتتباهى أمام صديقاتها قائلة (والله لا يرفض لي طلب، وإذا رفض فعندي ألف طريقة وطريقة..).

نعم، فالشيطان يوحي لها بألف طريقة وطريقة بدءا بالإلحاح المصحوب بالنكد وتنغيص عيش الزوج ومرورا بالمراوغة والخداع وانتهاءً بالكذب الصريح ومد اليد لسرقة المال من محفظة الزوج.

أما الصحيح فهو أن الزوج يزداد حباً وتشبثاً ومحافظة على الزوجة القانعة الراضية، وبمقدار ما يلمس من زوجته زهدها بما في يده من مال، وحرصها على حفظ أمواله وتنميتها، بمقدار ما يسارع لوضع ماله تحت تصرفها والتوسعة عليها بالإنفاق لأنه يشعر بالامتنان والشكر لها على غنى نفسها.

شجعيه على التوفير

كوني ذات نظرة بعيدة تشاركين زوجك بالتفكير والتدبير لمستقبل أفضل لكما ولأولادكما، شجعيه على التوفير والاستثمار، وأحسني تدبير مصاريف بيتك، وكم عرفنا من بيوت عمرت ومشاريع كبرت بسبب زوجات صالحات مدبرات، وبالمقابل ما أكثر البيوت التي خربت والآمال التي ضيعت بسبب تبديد زوجات مستهلكات لأموال أزواجهن أولا بأول جريا وراء الموضات والمظاهر الفارغة.

وأحب في هذا المقام أن أنقل حوارا طيبا دار بين زوجين كتبه محمد رشيد العويد في كتيبه القيّم (محاورات زوجية)، تحت عنوان قانعة وكريم..

الزوج: لمن هذه الساعة الجميلة؟

الزوجة: إنها لك.

الزوج: لي أنا ؟!

الزوجة: هدية بسيطة أعبر لك فيها عن حبي.

الزوج: ولكن من أين حصلت على ثمنها... تبدو غالية؟

الزوجة: اشتريتها بالخمسين دينارا التي أعطيتها لي.

الزوج: ولكني أعطيتك الخمسين ديناراً لتشتري بها فستانا جديدا لك.

الزوجة: لا حاجة لي إلى فستان جديد.. ما عندي يكفيني.

الزوج: ولكن الفساتين التي عندك ذهبت موضاتها...

الزوجة: هذه قضية لا تنتهي... كل يوم يخرجون بموضات جديدة حتى يسوّقوا سلعهم.. ويبيعوها.. ولو لم تكن لنا فيها حاجة.

الزوج: ولكن ألا تحرجين أمام صديقاتك حين يجدنك تلبسين فساتينك القديمة.. دون أن ترتدي فستانا جديدا منذ أكثر من عام؟!

الزوجة: ولماذا أحرج أنا من عدم ارتداء فستان جديد، ولا تحرج غيري حين تغتاب صديقتها أو جارتها، ولا تحرج أخرى حين تتحدث بالنميمة....؟!

الزوج: إنك حقاً امرأة عاقلة. ولكن كل هذا لن يقنعني برفضك شراء فستان جديد. هذه خمسون دينارا أخرى لتشتري بها غدا فستانا جديدا.

الزوجة تعيد عشرين من الخمسين ديناراً إلى زوجها قائلة: هذه الثلاثين تكفي!.

الاستقلالية المالية بين الزوجين

من المعلوم شرعاً أن للمرأة استقلالها المالي، فلا يجوز لوالدها ولا لأخيها ولا لزوجها أن يستحوذوا على أموالها، أو أن يملوا عليها كيف تتصرف فيه مادامت بالغة عاقلة، ومن المعلوم كذلك أنها غير مكلفة بالإنفاق على أحد منهم، بل إنهم مكلفون بالإنفاق عليها ورعايتها. أما إذا أنفقت فإنها تفعل ذلك متطوعة لا مكلفة ولا مجبرة. ومع ذلك فقد بات من المتعارف عليه في المجتمعات ومن الوارد عقلا أن تشارك المرأة الغنية أو العاملة زوجها في أعباء الحياة، وتفعل ذلك عن طيب نفس خاصة إذا رأت زوجها فقير الحال، ولمست

منه حسن الرعاية والاهتمام بها وببيته وأولادهما، وأنه يبذل قصارى جهده، وأنه مؤتمن على المال لا يبدده على نزواته.

لا تمنِّي على زوجك

إن المرأة الصالحة هي التي تنفق على بيتها إرضاءً لله وطلباً للمثوبة عنده قبل طلبها رضاء زوجها، وبالتالي فإنها لا تتبع ما أنفقت بالمَنّ والأذى لزوجها فيضيع عملها هباءً منثوراً في الدارين حيث تخسر زوجها وبيتها، ويحبط عملها عند الله.

إن أخطر إهانة يمكن أن تسدديها لزوجك وتصيبه في مقتل أن تمنّي عليه بما تنفقين من مالك، إنه يفضل ألا تنفقي فلساً واحداً على أن يسمع منك ما يؤذي مشاعره.

احفظي حقوقك

وفيما يتعلق بالأمور المالية فإني أنبّه أخيراً لأمر مهم ينبغي أن تحرص عليه المرأة الفطنة، وهو ألا تستحي من المطالبة بحقوقها ومكتسباتها المالية في وصية أو ميراث أب أو أخٍ أو زوج. فإن الله لا يستحيي من الحق.

وألا تستحي من حفظ حقوقها بالتسجيل والكتابة حتى مع الزوج فإن الله هو الذي أمرنا في أطول آية بالقرآن (آيــة المداينة – سورة البقرة – 282) أن نكتب الدين والحقوق ونشهد عليها الموثوقين من الناس وقال عن التسجيل ﴿ وَلَا تَسْأَمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ﴾، لا بأس أن تشتري أو تساهم مع زوجها في مشروع أو عقار لكن لابد من حفظ الحقوق بالتسجيل، لأن الدنيا متقلبة الأحوال.

فكم سمعنا عن نساء وهبن ثرواتهن الطائلة لإخوانهن أو أزواجهن، وكانت العاقبة إنكار الأخ أو الزوج لحقوقهن، وكم من الرجال من يتزوج المرأة لمالها، ويتصنع الحب والوفاء والهدى والتقى حتى إذا وثقت به المسكينة، وخولته ما تملك، رماها وراء ظهره وتنكر لحقها وأساء معاملتها وكشف عن سريرته الخائنة، وتبين للزوجة المخدوعة أن حملها الوديع لم يكن سوى ذئب!

لا تكوني جاحدة

المرأة الصالحة تذكر دائما حسنات زوجها ولا تنسى فضله وإن شبّ خلاف بينهما، وحتى إن وقع منه ظلم عليها فتظل تذكر مآثره وسجاياه الطيبة وتفعل ذلك في حضوره وغيابه على حد سواء، حيث تتساهل كثير من النساء إذا اجتمعن سوية أن يغتبن أزواجهن، ويذكرونهم بما يكرهونه.

ولتحذر الزوجة الصالحة أشد الحذر من جحودها لحسنات زوجها، وإنكارها للجوانب المضيئة فيه، لأن هذا الجحود والإنكار هو سبب لغضب الله عليها ودخولها النار، فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: " **أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن. قيل أيكفرن بالله قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط** ".

القسم الثاني : كيف تسعد زوجتك؟

الرجل صاحب القوامة والقيادة

أن تكون زوجا ، فإن ذلك يعني أنك اضطلعت بمسؤولية كبيرة ، وأمانة عظيمة ، ولا يعني ذلك مطلقاً أنك وصلت لمنصب تشريفي يخولك أن تقول فيصغى لقولك، وتأمر وتنهى فتطاع، وتجد وطرك من قضاء الشهوة، وتجد من يخدمك في ملبسك ومطعمك.

نعم إن الزوج الصالح المؤدي لما عليه تجاه زوجته، المؤتمن على أداء الحقوق الزوجية سيجد أكثر مما سبق من صنوف حب زوجته ومودتها وتذللها له، لكن العملية تبادلية لخصتها امرأة عربية من فجر التاريخ لما نصحت ابنتها وهي مقبلة على الزواج بقولها: (كوني له أمة يكن لك عبداً)، بمعنى أن نجاح العلاقة الزوجية والوصول للسعادة المنشودة منها لا يتأتى إلا ببذل طرفيها ما بوسعهما لإنجاحها، ولا أشك بأنّ مطالبة الزوج بماله من حقوق على زوجته دون أن يحاسب نفسه هل أدى ما عليه من واجبات مسبب جوهري لفشل العلاقة الزوجية .

بل إن الجهد الأكبر يقع على الزوج فهو صاحب القوامة والقيادة والمبادرة. وصاحب الخطوة الإيجابية الأولى التي تبني عليها الزوجة ردود أفعالها في الأعم الأغلب.

في الصفحات التالية محاولة للأخذ بيد كل زوج ينشد السعادة في حياته، من خلال استعراض سبل ومسالك موصلة للسعادة الزوجية ينبغي مراعاتها جميعا فهي تكمل بعضها بعضاً.

هل الكذب ملح الرجال؟

قد يكذب الزوج على زوجته في أول خطبتهما بشأن عمله أو ماله أو وضعه الاجتماعي أو غير ذلك، لكن هل تسعفه الأيام والأشهر والسنون؟ بالطبع لا، لأن الذي يكذب الكذبة في شأن من شؤون حياته كمن يبني بيتاً من ثلج سرعان ما تسطع عليه شمس الحقيقة فيخر على صاحبه سقفه، فتتكشف كل عوراته وعيوبه.

ثم إن الكذب من أهم أسباب الاضطراب وانتفاء الأمن، لأن الذي يكذب الكذبة يتملكه الخوف من أن تتكشف كذبته فيجتهد ويتكلف في إخفاء الحقيقة، ويحس بالاضطراب الدائم والهلع من أن ينفضح أمره، وما هي إلا أيام معدودات أو أسابيع أو أشهر أو سنوات على أبعد تقدير فيخر بناؤه الآيل للسقوط على رأسه بزلة لسان، أو صفعة من واقع معاش يظهر زيف صاحب المقال.

وقد يعترضك في حياتك الزوجية مواقف محرجة، فتتخلص منها بالكذب وتظن أن في ذلك النجاة. فتقول لنفسك ما أسهله من طريق يوفر النجاة دون عناء، ويحلو لك تكرار ذلك حتى يصير ذلك طبعا وخلقا يصعب التخلص منه.

نعم، قد يكون الكذب طريقا للنجاة المؤقتة من موقف معين، لكن هذه السبيل قصيرة ونهايتها هي السقوط في الهاوية، وحدوث شرخ كبير في الحياة الزوجية لا يمكن إصلاحه.

كذب الرجل مفسدة

و تكون عاقبة الكذب أمرين أما الأول فخسارة الزوج لثقة زوجته، لأنها لن تميز بعد ذلك بين صدق زوجها أو كذبه، والثاني أن تسلك معه نفس مسلكه وتقول في نفسها إذا كان الكذب ملح الرجال فإنه عسل على ألسنة النساء!

ويا ليت الأمر ينتهي عند هذا الحد، فإن الزوج الذي يكذب ينشأ أولاده على هذا الخلق الذميم، ويرونه أمراً طبيعيا، وبهذا فإن الأب يكون قد ساهم في إنشاء نفسية مهلهلة مضطربة لأبنائه تلجأ للكذب والتهرب من المواقف عوضاً عن مواجهة أحداث الحياة بالصدق والشجاعة.

ولا أدري كيف يمكن للحياة الزوجية أن تصلح وتستمر إذا كانت مبنية على الكذب والزيف والخداع؟! ذلك أن الحياة الزوجية نمط فريد من العلاقة الإنسانية وصفه الله بالإفضاء الكامل وانكشاف كل الأسرار حيث قال عز وجل: ﴿... وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ....﴾ [النساء: 21]، إنها علاقة تذوب فيه أخص الخصوصيات بين طرفيها، وتتكشف فيها النفسيات والأجساد بلا أدنى مواربة.

الصدق منارة الأسرة

اعلم أيها الزوج الكريم أن أهم مزايا الصدق أنه من أعظم العبادات والقربات إلى الله التي تثاب عليها، وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا كما ورد في الحديث النبوي الصحيح، وبالمقابل فإن عقاب الكاذب عظيم جدا عند الله، حتى أن الشرع الحنيف لم يرتب عليه عقوبة دنيوية كالزنا والسرقة وشرب الخمر فحسابه متروك ليوم عظيم،

واعلم أن رسولك الكريم محمد ﷺ أقر بأن المؤمن قد يقع في الزنا والسرقة وشرب الخمر، لكنه نفى عن المؤمن الوقوع في الكذب.

وإن كنت تريد لحياتك الزوجية أن تقوم على أساس متين فتحرى فيها منذ بدايتها الصدق الكامل، وإظهار الحقيقة دون أي تدليس، والتزام الصدق كمبدأ لا محيد عنه ولتعلم أن النجاة الحقيقية الدائمة إنما تكون في مسلك الصدق، وأن المصارحة تقوي العلاقة الزوجية، وتقوي الحب، وتوطد مشاعر الأمن والطمأنينة، وتساعد على تنظيم سائر أمور الحياة الزوجية.

وكمثال على ذلك فالصدق سبب في تجاوز العقبات المادية، فقد تسوء ظروفك المالية وتتعثر، فتخفي عن زوجتك ذلك وتكذب في سبيل إخفاء الحقيقة لأنك تريد الظهور أمامها بمظهر الغني، فتستمر هي في التوسع في الإنفاق والبذخ، في حين أنها لو علمت بحالك لأدركت واجبها حيال هذه الأزمة ووقفت بجانبك وغيرت من مسلكها في الإنفاق وفي تدبير شؤونها وشؤون أولادها، أليست هي شريكة حياتك بحلوها ومرها؟

وأختم بكلام المصطفى ﷺ الذي يجمع شعث كلامنا ببلاغته وحكمته إذ يقول في الحديث الذي رواه عنه سبطه الحسن بن علي ﷺ يقول: "**حفظت من حديث من رسول الله ﷺ: "دع ما يريبك إلى مالا يريبك فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة**" [رواه الترمذي].

صارح زوجتك

احرص على مصارحة زوجتك بما في نفسك، و مناصحتها بما يصلحها ويصلح حياتكما، ولا تخفي في نفسك شيئا لكن إذا كانت زوجتك من النوع الذي يفهم التلميح فلا داعي للتصريح والتجريح، وعلى أي حال فلا تجعل هذه المصارحة أمام أحد خاصة أطفالك، وكما يقولون في المثل العامي (النصيحة

منيحة بس لا تخليها فضيحة)، واعلم أن هناك فرق بين النصح والإرشاد الذي تفوح منه رائحة المحبة والحرص وبين النقد العقيم الذي هو نوع من التوبيخ والتعيير.

إن هذا النوع من النقد سهم قاتل للسعادة الزوجية إذا تكرر و انعدمت فيه اللباقة واللطف.

إن عليك أيها الزوج أن تتحلى بالكياسة عند نصح زوجتك وإرشادها إلى أمر ما فلا تسرف في وعظها، وإذا لم تنجح المصارحة لعدة مرات فالجأ لمسلك آخر قد يكون أكثر تشدداً كهجران فراش الزوجية، لأن التجربة أثبتت أن كثرة الوعظ والعتاب لا تصلح العيوب بمقدار ما تورث الخصام.

احفظ نفسك يحفظ الله لك زوجتك

إن أهم حقوق الزوجة على زوجها العفاف وأن يحفظ نفسه من الوقوع في أدنى الشبهات والمفاسد والعلاقات الجنسية المحرمة.

و من العجيب أن يطالب الأزواج نساءهم بالعفاف ولا يقبل أحدهم على زوجته أن تحادث رجلا في ضرورات الحياة، في حين أنه يلهث وراء العلاقات النسائية المحرمة!

إن العفة هي أساس الحفاظ على الحياة الزوجية وهي العامل الرئيس في صلاحها ولا فائدة في كل ما يسديه الزوج لزوجته من إحسان ومعروف أو ما يسلكه معها من ذوقيات كريمة إذا كان فاقدا لهذا الأصل العظيم والركن الركين في الحياة الزوجية السعيدة.

ولعل من أهم أسباب حفاظ الرجل العاقل على عفته وترفعه عن شهوات النفس التي لا تشبع هي أن عقله الراجح يقوده ألا يطالب زوجته بصفة هو يفقدها لأن فاقد الشيء لا يعطيه، وأن يوقن بأن عاقبة اتباع شهوات النفس

تؤدي حتما أن يُعاقب من الله بوقوع ما يؤذيه في أهل بيته، فقد جعل الله في الأعم الأغلب وقوع الرجل في الفواحش ديناً يسدده في نساء بيته فقد جاء فيما رواه الطبراني **(عفوا تعف نساؤكم)** وفي الأثر: **(بشر الزاني بخراب بيته ولو بعد حين)**، **(كما تدين تدان)**.

دقة بدقة

ونذكر قصة الرجل الذي كان يتاجر بين الموصل والشام، ولما بلغ به الكبر عتيا طلب من ولده أن يخرج في التجارة وأوصاه أن يحفظ عرض أخته، لم يفهم الولد كيف يكون ذلك فهي في الدار وهو خارج للتجارة فكيف يحفظ عرضها؟!

لما عاد بعد أن ربح الربح الوفير وفي الصحراء رأى فتاة ترعى غنما راودها عن نفسها فلم يظفر منها إلا أن قبّلها، في تلك اللحظة كان هناك سقّاء يدور على البيوت يضع لهم الماء، السقّاء رجل في العقد الخامس من عمره يطرق باب التاجر والتاجر في شرفة المنزل ينظر، تفتح ابنته الباب يدخل السقّاء ويضع الماء فيغافل البنت فيقبلها ويهرب.

عاد الولد من تجارته وبدأ يقصّ على والده أخباره، فقال الوالد: من الفتاة التي قبلتها ومتى وأين؟ فارتعب الولد وتعجب كيف عرف والده؟!! ومن الذي أعلمه؟ قال: ألم أوصك أن تحفظ أختك، والله لو زدت لزاد، وجرت مثلا عند أهل الموصل قولهم (**دقة بدقة وإن زدت لزاد السقّا**).

هل أنت مبغوض؟

البخيل مبغوض من الله و مبغوض من الناس، ولأن أكثر الناس ضرراً من البخيل زوجته بحكم ملازمتها له وبحكم أنه مكلف بالإنفاق عليها فهي

ولا شك تبغض هذه الصفة على أشد ما يكون وفي معظم الحالات فإنها تقودها لبغض زوجها وإيثار الانفصال عنه.

والبخيل يحيا حياة الفقراء مع أن الله أعطاه أسباب الغنى ووسائل إسعاد نفسه وزوجته وعياله، وعند موته يحاسب حساب الأغنياء فيسأله الله عزوجل عن ماله من أين اكتسبه؟ وكيف أنفقه؟ ولماذا ضيّع زوجته وعياله؟ لأن تضييع الزوجة والعيال من الذنوب الكبيرة ففي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**كفى بالمرء إثماً أن يضيّع من يقوت**" وفي رواية "**من يعول**" [رواه أبو داود].

التوسط في الإنفاق

وسّع على زوجتك في النفقة بحسب استطاعتك واعلم أن الزوجة الصالحة تعذر زوجها عندما يكون رقيق الحال، فقير ذات اليد، لكنها لا يمكن أن تعذره بحال إذا كان يكنز المال ويحرم زوجته وأولاده من ضرورات الحياة.

واعلم أن خير مال ينفقه الإنسان هو ما ينفقه على زوجته وعياله فهو خير له من صدقة فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك**"

لكن التوسط محمود في كل الأمور خاصة في الإنفاق، فما أجمل أن تلتزم بهدي القرآن الكريم في هذا الباب حيث يقول الله موجها عباده للتوسط والاعتدال في الإنفاق: ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً** ﴾ [الإسراء: 29].

إنها وسطية الإسلام وواقعيته، فالشح والبخل لا يجلبان الغنى كما يتوهم بعض الأزواج فيبررون إمساكهم وبخلهم أنه من أجل مستقبل أبنائهم! ولا يعلمون أن عاقبة بخلهم هو نشوء أبنائهم فقراء في نفوسهم يتنازعون على الميراث ويضيعون دينهم ويمزقون صلة الدم والرحم بسببه، ثم يتلفون المال.

وبالمقابل فإن الإسراف والتبذير سبب للفقر وسؤال الناس وعاقبته الملامة والعجز والحسرة، وأن يلقي الرجل بعياله في غياهب مستقبل لا يجدون فيه أساسا يبنون عليه، ولا ظهراً أو سنداً يركنون إليه، ليعلم الزوج والأب أنه إن يترك عياله أغنياء بسبب ما يورثهم من أسباب الاستقرار والنجاح في الدنيا خير له أن يتركهم فقراء بسبب التبذير والإسراف، فعن سعد بن أبي وقاص قال: " كان رسول الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت: إني قد بلغ بي من الوجع وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة أفأتصدق بثلثي مالي قال: لا ، فقلت: بالشطر فقال: لا ، ثم قال: "**الثلث والثلث كبير أو كثير إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**". أي تتركهم فقراء يسألون الناس.

مالك ومالها...!

انفق على زوجتك وإن كانت ثرية، فإن ذلك واجب شرعي افترضه الله عليك تجاه زوجتك، وهو واجب عرفي أجمعت عليه المجتمعات الإنسانية منذ فجر التاريخ، والزوج إذ يقوم بذلك فإنه لا يكون محسناً أو متفضلاً عليها مع أن الله الشكور يجازيه على ذلك خيراً كثيراً فعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي له صدقة**" [متفق عليه].

واعلم أن حاجة المرأة لإنفاق زوجها عليها لا تنطلق من عالم الضرورة فحسب. بل هي حاجة نفسية إلى السكينة وحاجة شعورية للأمان والإحساس

بوجود من يعيلها، لقد كانت تجد ذلك في أبيها قبل زواجها، وهي تطلبه في زوجها بعد الزواج. وهذا الشعور ينطبق على المرأة الثرية كانطباقه على الفقيرة.

لا تطمع في مالها، ولا تأخذ منه إلا برضاها، إن تعففك عن مالها يجلب محبتها ويقينها بإخلاصك، ويدفعها طواعية وعن طيب نفس إلى المشاركة معك في أعباء الحياة، في حين أن أخذك من مالها عن غير رضى منها فضلا عن كونه لا يجوز لك شرعا، فإنه يجلب لك المنّ والأذى من طرفها، وفقدانك القدرة على قيادة العلاقة الزوجية، ذلك أن الله عز وجل منح الزوج القيادة والقيام على أسرته بسبب ما ينفق قال الله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ... ﴾ [النساء: 34].

حكم الشرع في أخذ مال الزوجة

على الزوج الآخذ من مال زوجته أن يعي تماماً أن إنفاق زوجته عليه من مالها سواء كان ذلك من مهرها أو حليّها أو ميراثها عن ذويها أو تجارتها أو وظيفتها أو غير ذلك، إنما هو محض إحسان من الزوجة وليس من باب الواجب في حقها . فهي غير مكلفة بالإنفاق على زوجها أو أولاده.

أسوق هذا لأن كثيراً من الأزواج في زماننا يعتبرون ذلك حقاً مكتسبا لهم وواجباً على الزوجة تجاه بيتها، ويعتقدون أن الإنفاق على بيت الزوجية مسؤولية مشتركة، بل إن بعض الأزواج الذين لا يقيمون اعتباراً لكلام الله ورسوله ﷺ ليتصرفون في أموال نسائهم دون الرجوع إليهن ومشاورتهن، أو يكرهونهن على بيع حليهّن التي هي جزء من مهورهن ويعتبرون أن أصل تلك الحلي من أموالهم، وهذا بلا شك أكل لمال الزوجة بالباطل. ومخالفة وعصيان

لكلام الله القائل في كتابه: ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ [النساء: 4]. أي أن يعطي الزوج لزوجته مهرها عطاءً عن رضى وعن طيب خاطر فهو حق لها لتمكينه من نفسها وإفضائها إليه، فإن تنازلت هي بملء إرادتها وعن طيب نفسٍ منها لزوجها عن شيء من مهرها فلا بأس أن يأخذه ويتصرف فيه.

وأخيراً فإنه ينبغي على الزوج ألا يحزن البتة إذا خولته زوجته التصرف ببعض مالها أو كله لكنها اشترطت لنفسها أن يسجل المشروع أو جزءاً من العقار أو الأرض باسمها، فإن ذلك حق فرضه الله لصاحب المال أكان ذكرا أم أنثى، بعيداً أم قريباً.

إن التعامل الخاطئ مع الزوجة على أساس أنها وممتلكاتها تابعة للزوج، دون مراعاة أنها إنسان منحه الله العقل والإرادة والاختيار والحرية والاستقلال المالي هو السبب في كثير من النزاعات بين الأزواج.

هل تغار على زوجتك؟

تحب المرأة من زوجها أن يغار عليها لأن ذلك يعطيها إحساساً رائعاً بأنها جوهرة غالية بالنسبة له يحرص على حفظها وصيانتها وإخفائها عن أعين المتطفلين، إن هذا الحد من الغيرة هو الحد الذي يرضاه الله بل يأمر به حيث أن عدم وجوده في الرجل يعني أنه يرضى لزوجته ولنساء عائلته السوء وهذا انحطاط لا ترتضيه كثير من البهائم والحيوانات، ولذلك فقد حمل الإسلام بشدة على من انتفت غيرته فقد قال النبي ﷺ: **"لا يدخل الجنة ديوث قالوا: ما الديوث يا رسول الله؟ قال: الذي يقر الخبث في أهله"**.

كيف تغار عليها؟

ومن الجميل أن أذكر في باب الغيرة حديثا نبويا شريفا يظهر لنا أن الغيرة الصحيحة أمر محبوب ومرغوب عند الله فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب النكاح - باب الغيرة، لما نزل قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً** ﴾، قال سعد بن معاذ: " يا رسول الله! إن وجدت مع امرأتي رجلا أمهله حتى آتي بأربعة؟!!! والله لأضربنه بالسيف غير مصفح. فقال النبي ﷺ: **أتعجبون من غيرة سعد؟، لأنا أغير منه، والله أغير مني**". وعرّف عليه الصلاة والسلام الغيرة في الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "**إن الله يغار وغيرة الله أن يأتي المرء ما حرّم الله عليه**".

إذاً فليحرص الزوج الصالح أن تنطلق غيرته على زوجته من خلال غيرة الله على عباده فلا يرضى لنفسه ولا لزوجته أن تقع في محارم الله من تفويت الصلوات وتأخيرها والتقصير في الحجاب الذي فرضه الله، والسكوت عن تبرجها وتزينها خارج بيتها، والتهاون في السفور أمام الجيران و الأقارب ومجالس الاختلاط والصخب.

غيرة مذمومة... وشك مدمر

أيها الزوج العزيز ما دمت أنك أحسنت اختيار زوجتك ورضيت بما حازت من الدين والخلق الحسن وطهارة وعفة بيئتها الأولى. فينبغي عليك أن تثق باختيارك وأن تغلق أبواب الارتياب والشك في زوجتك وأن تعلم أن كثيراً من

ارتياب الأزواج في زوجاتهم لا أصل له وأن مبعثه الشيطان يوقع العداوة والبغضاء فغاية أمانيه أن يفرق بين المرء وزوجه ويخرب البيوت الآمنة المطمئنة.

والحل الصحيح عند الارتياب في أمر هو المصارحة والمكاشفة الفورية فهي كفيلة بتوضيح الأمور، وإظهار الحقيقة التي تكشف للزوج وهمه وخطأ ظنه، فكم من الزوجات الطاهرات العفيفات ظُلِمنَ بسبب مكر وكيد شياطين الإنس والجن.

وكم من الأزواج خرّبوا بيوتهم بأيديهم بسبب سيطرة وسواس، أو بسبب وقوعهم تحت ضغط عقدة قديمة أو انحراف يعيشونه فيخال أحدهم أن النساء جميعا بمن فيهم زوجته على شاكلة فاسدات فاسقات عرفهن في مرحلة من مراحل حياته.

إن الغيرة الطبيعية خلق محمود إذا لم يتجاوز الحدود التي فطر الله الناس عليها فهو يشبه على نحو ما ملح الطعام الذي به تصلح مذاقات المأكولات لكن كثرته تفسدها . إن من السلوكيات المرفوضة في غيرة الزوج أن يرتاب في كل أمر وأن يغار من كل حركة و سكنة فيغلق الباب إذا خرج ولا يترك مفتاحا لزوجته مخافة أن يطرق الباب طارق فيتحدث إليها، أو أن يستشيط غضبا عند حديث زوجته في ضرورات مشروعة مع بعض الباعة والأطباء.

إن هذا النوع من الغيرة هو باب الولوج للشك والريبة التي تدمر الحياة الزوجية، وهي غيرة يبغضها الله فقد روى مسلم في صحيحه عن رسول الله ﷺ: **"إن من الغيرة غيرةً يبغضها الله عز وجل وهي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة"**.

هل تغار من أطفالك؟

ومن أنواع الغيرة التي تقع من بعض الأزواج أن يغار أحدهم من اهتمام زوجته بسواه وخاصة أحد أفراد عائلتها كوالديها أو إخوانها، وفي بعض الأحيان يشتط ويتطرف فيغار من اهتمام زوجته بأطفالهما، على مثل هذا الزوج أن يعلم أنه ليس الوحيد الذي يقع في دائرة اهتمام زوجته وأنه وإن كان يحظى بالصدارة في أولوياتها، لكنها أيضاً مسؤولة عن رعاية أبنائه والاهتمام بكل شؤونهم خاصة أن الطفل في سنوات عمره الأولى هو عالة بشكل كامل على أمه، وكذلك فإنه يجب على الزوجة أن تبر أبويها وأن تكرم وفادة من يزور بيتها، طبعاً في حدود الاهتمام الطبيعي الذي لا يتجاوز الحد المقبول فيؤثر على الحياة الزوجية ومسؤوليات البيت، وأنا لا أقصد السكوت على تلك النوعية من الزوجات اللاتي يطغى عندهن الاهتمام بأهلهن على الاهتمام بأزواجهن وبيوتهن.

ولعل من أنجع الوسائل لعلاج هذا الزوج الغيور لتخليصه من هذا الشعور الخاطئ أن يكاشف زوجته بشعوره، وألا يعالج الأمر بالغضب والصراخ والشدة بل يبدي لزوجته الحب والرقة وأن يشكو لها غيرته من اهتمامها بغيره، عندها سيجد الرد الطبيعي للمرأة في أنها تسعد وتطرب لشعوره وغيرته وتبادله اهتمامه باهتمام مماثل، وستكشف له عن عمق حبها واهتمامها وحرصها، وتبين له أنها مسؤولة أيضاً عن رعاية أطفالها وصلة أهلها، ولا تلبث أن تتجه لتعديل سلوكها مع الآخرين فتتوخى الحرص والحذر الزائد إرضاءً لزوجها وإذهابا لغيرته.

الوالدان أولا

لاشك أن والدي الزوج وعائلته حريصون على سعادته ويحبون له الاستقرار في حياته الزوجية، لكن من الطبيعي أن يشعروا ببعض التوجس والغيرة من مشاركة زوجة ابنهم لهم في حبه واهتمامه ورعايته لهم. إليك أيها الزوج والابن في نفس الوقت بعض النصائح التي ترضي عنك أبويك وتحفظ لك حياة زوجية طيبة:

- اعلم أن أعظم الناس حقا عليك أبواك، خاصة أمك، وأن الله ينزع البركة من حياتك وزوجتك وأولادك إذا وقعت في سخطهما وغضبهما.
- يتوقع والداك منك الكثير، فهما يعتبرانك شجرة أفنيا عمرهما في رعايتها فكيف تطرح ثمارها لغيرهما. فتفهم شعورهما الطبيعي بالتوجس والغيرة من زوجتك، فاحرص على شكرهما في الغيب والشهادة وإظهار مودتك وبرك بهما، وزد من التقرب منهما بعد زواجك.

حب متوازن

- امنح والديك الحب والبر والتقدير والإكرام. دون الإخلال بحب وإكرام زوجتك، وعبّر عن هذين الحبين و الاهتمامين بنوع من التوازن والذكاء، فمثلا رغم أنه يجب عليك إظهار احترامك وتقديرك وحبك لزوجتك أمام أهلك حتى تكسب هي احترامهم، لكن لا تبالغ في إظهار حبك وتدليلك لها أمامهم.
- أحسن وأكرم زوجتك، أظهر لها محبتك، واحرص على إكرام وبر والديها، فإنك إذا أحسنت إليها وإلى أهلها ملكت قلبها، والنتيجة الطبيعية أن تحرص على مرضاتك من خلال الإحسان لوالديك.

خلافات داخلية

- احرص على حل خلافاتك مع زوجتك مهما كبرت في غرفة نومكما، إن هذه الخلافات ستزداد تعقيدا إذا خرجت خارج هذه الغرفة وبلغت أهلك أو أهلها، ولاحظ أن الله عز وجل جعل تدخل طرفين حكيمين صالحين من أهل الزوج والزوجة في خلافاتهما آخر مراحل العلاج بعد استنفاد كل وسائل الإصلاح الداخلية، لذلك أظهر أنت وزوجتك لأهلك وأهلها بأدب جم، لكن بحزم وصرامة أنكما ترفضان أي تدخل في شؤونكما، إلا أن يكون نصحا صادقا مبعثه الحب والحرص.

مرضاة والديك طريقكما للجنة

- اجعل الأساس الإيماني بالله عز وجل وطلب مرضاته وأجره وثوابه، والخوف من غضبه وعقابه في الدنيا والآخرة هي الدوافع لسلوك زوجتك تجاه والديك، من ذلك أن تذكرها أن مرضاة والديك هي طريقكما للجنة، وأن خفض الجناح والتذلل لهما هو أقل الشكر على ما صنعا من أجلك. وأنه لا يوجد فصل بين موقفك وموقفها بمعنى أن إساءتها لوالديك تعني إساءتك أنت وإحسانها يعبر عن إحسانك، وأن تعاملكما معهما هو بمثابة زراعتكما لشجرة تجدان ثمراتها في أولادكما لما تكبران، إن زرعتما شجرة طيبة فستجنيا منها الثمار الحلوة، وإن زرعتما شوكا فلن تجنيا منه إلا الجراح.
- لا تتهاون مع زوجتك إذا ظهر منها ما يسيء إليهما، وضع خطوطا حمراء لها لا يجوز تجاوزها بحال من الأحوال، واجعل من الثوابت في

حياتكما التي لا تتنازل عنها إن لوالديك احترام المقام والتقدير حتى لو بدا منهما ما يسيء فزوجتك ليست ندا لهما.

- إذا ظهر من والديك ما ينغص على زوجتك، فإن كان الأمر في حدود الهمز واللمز وتوافه الأمور فلا تناقش ذلك مطلقا، واطلب من زوجتك غض الطرف عن ذلك احتراما لمقامهما واصطبارا لله عزوجل، وذكرها بأنها تفعل ذلك من أجل عيونك وإكراما لحبكما، وقابلا ذلك بالإحسان والإكرام، إما إذا بلغ الأمر حد الظلم والافتراء والتجني والإهانة، فلا يجوز لك أن تستحي من الانتصار للحق، أو أن تسكت على ظلم، افعل ذلك باللين واللطف، أظهر لوالديك أنك لا ترضى لهما أن يظلما زوجتك، وأن الله استرعاك هذه الزوجة، وسيسألك عن هذه الأمانة هل حفظتها أم ضيعتها، بين لهما أنك سعيد معها وذكرهما أنهما يريدان السعادة لك، ذكرهما بأنهما لا يرضيان أن يصنع الناس ببناتهم ذلك، لا تناقش التفاصيل لكن كن حازماً بأدب في عدم قبول الظلم، وحذار أن يقودك أي خلاف معهما للمقاطعة والخصومة فإن ذلك لا يحلّ لك.
- إذا ظهر خلاف بين زوجتك ووالديك، فلا تخض أمام الطرفين بأية تفاصيل لأن ذلك من شأنه أن يزيد الطين بلة، واحرص على التذكير بالثوابت الهامة وهي أنك محب وبار بأبويك محب أيضا لزوجتك، ولا تستطيع التفريط في كلا الطرفين. وذكرهما بأنه ليس من البشر من هو معصوم عن الخطأ أو كامل في صفاته وأخلاقه، وأن الخلاف طبيعة بشرية.

هل تحب حماتك؟

تشيع في مجتمعاتنا كثير من المفاهيم المغلوطة والأفكار المسبقة حول علاقة الزوج بأنسابه وعلاقة الأنساب بصهرهم، فتبدأ علاقة الطرفين بأفكار مريضة مسبقة عن حتمية الاصطدام بين الصهر وحماته مثلا، وتغذي ذلك وسائل الإعلام التي توحي وتوسوس بكثير من الآفات والأفكار المريضة، وترفد النكت الشائعة على الألسن حول الحموات الرؤوس الفارغة من هدى الله بمثل هذه الأفكار، وتكون النتيجة أن يتصيد كل طرف للآخر العثرات، ويلغي الأعذار، ويبالغ في الغضب لنفسه، وتفسد العلاقة ويكون أشد المتضررين من ذلك الزوجة فهي بين نارين كما يقولون، لا تستطيع أن تفرط في زوجها ولا أن تتخلى عن أهلها.

إن الخروج من هذا النفق المظلم إنما يكون في اتباع هدى الله الذي منّ على البشر بأن أنشأ للزوج والزوجة أقارب جدد بسبب علاقة الزواج والمصاهرة حيث يقول عز وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان: 54].

إن إقبال الزوج على أنسابه بقلب مفتوح وإلغاء الأفكار المسبقة وتقديم حسن الظن، وإحسان معاملة الزوجة وإكرامها وإكرام أهلها مفاتيح للاستقرار والسعادة الزوجية، ماذا يضير أن يضيف الزوج إلى إخوانه من والديه أخوة جدد هم أخوال أولاده. ما الذي يضره أن يعايشهم بحب وانسجام، وأن يبادر لتذكير زوجته بحرصه على برها بأهلها، وزيارتهم وودهم وحسن استقبالهم ومشاركتهم أحزانهم وأفراحهم والنصح لهم، ودعوتهم للخير، والحلم على ما يبدر منهم.

إن هذا المسلك كفيل بإسعاد الزوجة وإدخال السرور على قلبها وإحسانها لأهل الزوج بالمقابل، وثبات واستقرار الحياة الزوجية.

شاور زوجتك ولا تخالفها في الحق

"شاوروهن وخالفوهن" "كلام نسوان" "أتسمع لامرأة" هذا ما شاع على ألسنة مجتمعنا، وهذا ما اعتاده مجتمعنا من تسفيه آراء الزوجات وتحقير وتعيير كل رجل يثبت أنه يأخذ بنصح أو مشورة زوجته. لكن يغيب عن هذا المجتمع أن الحق أحق أن يتبع سواء علّمه الله لرجل أو لامرأة.

إن رجال الرعيل الأول وعلى رأسهم معلم هذه الأمة ومزكيها محمد رسول الله ﷺ كانوا يشاورون النساء في قرارات مصيرية وينفذون مشورتهن فهذا هو عليه الصلاة والسلام يوم صلح الحديبية ينزل على شروط المشركين في المعاهدة، ولا يتم عمرته ويأمر أصحابه بنحر الهدي وحلق الرؤوس لكن أصحابه يحزنون للنزول على شروط المشركين، حتى أنهم يتبرمون من أمره بالتحلل فيدخل رسول الله ﷺ خيمته على زوجه أم سلمة رضي الله عنها وهو يقول: «**هلك أصحابي**»، **فأشارت عليه أم سلمة فقالت: يا رسول الله، لِمَ لا تبدأ فتحلق رأسك وتنحر هديك، فإذا رأوك فعلت ذلك اتبعوك.. فعمل بما أشارت عليه، ولما رأى الأصحاب فعل رسول الله ﷺ أمامهم، ندموا على تقصيرهم وبادروا فحلقوا رؤوسهم ونحروا هديهم**".

ما الذي يمنع الزوج أن يشاور زوجته في أمور الحياة خاصة ما يتعلق بمستقبلهما وحياتهما وإدارة البيت؟! وما الغضاضة في النزول على رأيها إذا كان حقا، والأخذ برأيها إذا كان هو الصواب؟!

لماذا دائما يطالب الزوج زوجته بتغيير قناعاتها حتى لو كانت صحيحة ويتشبث هو برأيه حتى لو تبين له خطأه لمجرد أنه رجل البيت، وعيب على رجل البيت أن ينزل على رأي زوجته؟!

زوجتك منجم ثري

زوجتك الصالحة منجم ثري، وأنت من أهم الأشخاص القادرين على استخراج أحجاره الكريمة، واستغلال معادنه الغنية، من خلال ثقتك بآرائها وقدراتها، وإشراكها بفاعلية وإيجابية في إدارة أمور حياتكما، وستكتشف أن إصلاح كثير من أمور حياتكما قد يكون بإشراكها أو توليتها بعض المهام، وقد جرب كثير من الأزواج الذين يعانون من أزمات مالية، أن يعرض على زوجته المشكلة ويطلب اقتراحاتها للخروج بحلول، ويطلب منها أن تدير مصروف المنزل بطريقتها أو فلنقل أن تطرح برنامجها الاقتصادي المنقذ، وكانت النتيجة إيجابية، حيث تشعر الزوجة بأهمية دورها، وتحاول إثبات جدارتها وتفوقها فيما أوكل إليها زوجها، وتحسن تدبير أمورها بإيجابية.

لا تقمع رأي زوجتك، ولا تصادر استقلال تفكيرها، ولا تثبط محاولات إبداعها في شتى مجالات الحياة.

لا تغضب.. لا تغضب

الزوجة تصرخ: إذا كنت رجلا فطلقني!

الزوج بغضب: رجل رغم أنفك، ولأثبت لك ذلك فسأطلقك مهما كانت النتائج، حتى لو ضاع كل أولادي. روحي أنت طالق، طالق، طالق.

الزوجة بغضب: إذا كنت رجلا فطلقني.

الزوج بهدوء: لأني رجل فلن أطلقك.

عند البحث عن أسباب الخلافات الزوجية الكبيرة يجد الباحث أنها بدأت بأمور تافهة وهفوات عابرة تبعتها ثورة غضب من أحد الطرفين، مما استدعى أن يكيل الطرف الآخر الصاع صاعين وتنتهي الأمور بطريق مسدود، وهكذا يصعب إخماد الحريق المشتعل كالنار تقع من مستصغر الشرر.

ينبغي على الرجل الرشيد أن يحتوي الأمر بعقله الذي يسبق عاطفته، وأن يواجه الخلافات التافهة، والهفوات الصغيرة بصدر واسع.

ما الذي يستدعي أن يهتاج ويغضب إذا تأخر تجهيز الطعام بعض الوقت، ماذا يضره أن يشغل نفسه بعبادة يتقرب بها لله عز وجل، أو بأمر نافع كملاعبة أطفاله وتعليمهم أو إصلاح شأن من شؤون بيته، حتى يجهز الطعام.

و هل يستدعي اختفاء حاجة من حاجياته من مكانها المعتاد أن يرغي ويزبد ويهدد ويتوعد. إن الأمر أبسط من ذلك بكثير.

لا أقول لا تغضب فهي صفة بشرية تقع منا جميعا، لكن لا تغضب على كل شاردة وواردة، ولا تجعل الغضب سببا للخصام أو انفصام العلاقة الزوجية. وإن أخطأت تجاه زوجتك فاعتذر إليها . لا تنم ليلتك وأنت غاضب منها وهي حزينة باكية. تذكّر أن ما غضبْتَ منه – في أكثر الأحوال – أمر تافه لا يستحق تعكير صفو حياتكما الزوجية، ولا يحتاج إلى كل ذلك الانفعال. استعذ بالله من الشيطان الرجيم، وهدئ ثورتك، وتذكر أن ما بينك وبين زوجتك من روابط ومحبة أسمى بكثير من أن تفسده لحظة غضب عابرة، أو ثورة انفعال طارئة.

لا للإهانات وانتقاص الكرامة

مهما اختلفت مع زوجتك ووصل الأمر لحد غير مقبول من الصراخ فلا تسمح لنفسك بتوجيه أية إهانة إليها، لأن أشد أمر يمكن أن تقاسي منه امرأة هو توجيه إهانة لها حيث تظل راسخة في قلبها وعقلها. وقد تظهر أنها غفرتها لك بلسانها لكنها تبقى عالقة في قلبها، وأخطر الإهانات على الإطلاق هي أن تنفعل فتضربها، أو تتهمها في عرضها، أو تشتمها أو تلعن أباها أو أمها.

وحذار من الوقوع في إثم أن تبدي إعجابك بإحدى النساء، فإن ذلك يطعن قلبها في الصميم، كذلك لا تعيّر زوجتك بعيوب وأخطاء طوتها الأيام، واعلم أن الذي يتلمس عثرات من هم تحت رعايته و مسؤوليته يتتبع الله عوراته وعثراته يوم القيامة.

تهديد بالضرة

لا تستغل الغيرة التي فطرت عليها النساء بأن تهدد عند كل خصام أو عند كل صغيرة وكبيرة بالزواج من أخرى.

واعلم أن هذه التهديدات حتى لو لم يكن لها مصداقية تحيل قلبها وذهنها المنصرفان أصلا لك ولأولادك إلى بحر متلاطم مضطرب من القلق والظنون، ويحيل نومها الذي تستعين فيه على رعاية شؤونك وشؤون أولادك وبيتك إلى فراش من الشوك القتاد.

أشعر زوجتك بالأمن والأمان في علاقتك بها، وأنها ثمينة غالية عندك وأنك لن تفرط بها لأنك محتاج لقربها، ولا تستقيم حياتك إلا بشراكتها.

كن رجلا في كلامك ومواقفك، فلا يحسن بك أن تهدد بالزواج بأخرى وأنت تعلم يقينا أنك غير قادر على فعل ذلك.

الضرّة مرّة..!

إذا كنت قادراً فعلاً على الزواج بأخرى من الناحية المادية والنواحي المتعلقة بإقامة العدل بين نساءك، فلا بأس أن تقدم على ذلك بعد دراسة الأمر من جميع جوانبه وبعد استشراف نتائجه، وأشعر زوجتك بحبك وتقديرك لها، وأفهمها دوافعك، وأن زواجك من أخرى لا يعني البتة أنك تتخلى عنها، لكن لا تحزن أو تشعر بالإحباط إذا لم تتفهم زوجتك ذلك، فإن زاوية نظرها للأمر تختلف بل تضاد زاوية نظرك.

وعند زواجك بأخرى فاعذر زوجتك الأولى على جفوتها وغيرتها فإنه ليس بملكها، ولا تطالبها بدراسة الأمر بعين العقل، واعلم أنك لن تستفيد من إلقاء دروس مطولة على زوجتك في مدى حاجة الرجل للتعدد وأنه مفطور عليه، وأن في التعدد حل لكثير من مشاكل المجتمع، ولن تحلل معك أرقام وإحصائيات نسبة العنوسة في المجتمع، فإنها فطرت على الغيرة، ويصعب عليها تقبّل فكرة أن تشاركها في زوجها امرأة أخرى، حتى في مجتمع الصحابة رضي الله عنهم الذي شاع فيه التعدد، كانت تتقبل المرأة الضرة على مضض، فكيف الحال بمجتمعاتنا التي قلّ فيها التعدد، بل ندر؟!!

إن الطعنة التي تلقتها منك (من وجهة نظرها) تكمن في شعورها بالشذوذ عن القاعدة العامة في مجتمعاتنا المعاصرة، يغذي ذلك الشعور ما تبثه وسائل الإعلام المختلفة التي تحارب التعدد في حين أنها تزيّن اتخاذ الخليلات والعشيقات!

ويكمن كذلك في شعورها باتهام بيئتها ومجتمعها لها ضمنياً بأنها مقصرة على نحو ما مع زوجها، وأنه لولا وجود خلل ما فيها لما لجأ زوجها للزواج بأخرى.

لملم جراح زوجتك

إن تفهمك لنظرة زوجتك للتعدد، وإحساسك بجراحها يحتم عليك واجبات هامة تجاهها فأنت وأنت فقط القادر على لملمة جراحها، وتماثلها للشفاء، وتحقيق رضاها، وتجاوزها لهذه المحنة ويكون ذلك بمراعاة الأمور التالية:

أولا: إذا درست أمر زواجك بأخرى وكان نابعاً فعلا من حاجتك، وكانت مصالحه تغلب مفاسده وترجح عليها، فحقق حكمة الإسلام في التعدد، وذلك بالزواج من امرأة فرصها ضئيلة في الزواج كأن تكون عانسا أو أرملة أو مطلقة، فالملاحظ أن كثيرا من الرجال الذين يتشدقون بحرصهم على المجتمع ويظهرون قلقهم من ارتفاع نسبة العنوسة فيه، أنهم عندما يقدمون على التعدد ينتقون أجمل النساء وأصغرهن سنا، طبعا لا أزعم أن ذلك لا يجوز، لكني أتساءل أين ذهب قلقهم على العوانس والأرامل؟!!

ثانياً: الحفاظ على عهدك السابق مع زوجتك الأولى من الحب والتقدير، بل زيادة التقرب إليها عن ذي قبل، وإظهار ودها، وشكرها والإحسان إليها.

ثالثا: إقامة العدل الكامل بين الزوجات في الإنفاق والمبيت والإقبال والاهتمام والكلام الطيب الرقيق.

إن ذلك مع توالي الأيام كفيل بأن تستوعب زوجتك الأولى حكمة الشرع الحنيف في السماح بالتعدد، ويخفف كثيراً من صدمتها النفسية، ويدفعها لتقبل الأمر، وتتفهم دوافعك، وتلمس رجولتك وأخلاقك الحميدة في المواقف كلها. بمعنى أنها سترى فيك نموذجا صالحا في تطبيق شرع الله.

أما إذا أقبلت على زوجتك الجديدة بالبشاشة والسرور، ولم تجد منك الأولى إلا الغضب والنفور. وجُرت في القسمة بينهن، فإذا كانت ليلة الجديدة عدت إلى البيت مبكرا يملؤك النشاط، أما إذا كانت ليلة الأولى، عدت متأخراً مجهداً، مقطب الجبين، تبحث عن العثرات، فبالله عليك كيف تتقبل زوجتك الأولى ذلك؟!

اعلم عندها أنك مؤاخذ من الله عزوجل وأنك تبعث يوم القيامة وشقك أو شدقك مائل كما ورد في الحديث الشريف بسبب جورك في القسمة بين زوجاتك وتفريطك في إقامة العدل، وتقف زوجتك خصما لك أمام الله عزوجل فينتصر لها منك لأنه لا يظلم مثقال ذرة.

هل أنت إرهابي؟

إني لأعجب من زوج يطالب زوجته بالكمال المطلق في القيام بوظيفتها، فهو يطالبها برعاية أولاده.... الاهتمام بتربية ومذاكرة الدروس للكبير، والسهر على الرضيع، والقيام بالأعمال المنزلية على الوجه الأكمل، فيقيم الدنيا ولا يقعدها إن وجد غباراً في زاوية من زوايا بيته!! وأما على صعيد الاهتمام بمتطلباته فيا ويل المسكينة إذا وجد قميصه يحتاج للكي!! ويا ويل كل من في البيت إذا التمس ربطة عنقه التي يرميها حيثما اتفق ثم لا يجدها في خزانة ثيابه!! ويا للمعركة حامية الوطيس التي ستقوم إذا أيقظته جلبة الأعمال المنزلية أو حركة الأولاد من قيلولته. إنه يطالب الأطفال المجبولين بفطرتهم على النشاط والحركة على التزام الصمت المطبق إذا دخل المنزل!! وأما حسابهم فيكون بالتهديد والضرب، وتجريح الزوجة وتأنيبها لأنها لم تحسن تربية أولادها حيث ينسى أنهم أولاده أولاً!! ثم إنه يطالب زوجته بأن تكون دائما جاهزة تحت طلبه، متزينة بأحسن وأتم الزينة، ليقضي وطره منها.

و يعاتب ويصرخ ويجرّح ويخاصم زوجته عند أقل هفوة ترتكبها في وليمة أو مناسبة اجتماعية دعا إليها أقارب أو معارف.

إن مثل هذا الزوج يصلح أن يكون ديكتاتوراً يكتم أنفاس شعب من الشعوب، لكنه لا يصلح بحال أن يكون زوجاً وأباً.

قد يحسب هذا الزوج الإرهابي أنه يفرض احترامه، لكن في حقيقة الأمر فإن هذا المغرور لا يعلم أن الاحترام والتقدير من الزوجة والأبناء إنما يكتسب اكتسابا بلطف المعشر والإحسان وإظهار الحرص وإشاعة المحبة والرحمة، قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ... ﴾ [آل عمران: 159].

بالمحبة والرحمة تملك زوجتك

و على النقيض من الصورة المنفرة السابقة يقف نموذج مضيء لزوج يظهر لطف معاملته لزوجته. ويشعرها بحرصه وقلقه الحقيقي عليها خاصة عند مرضها وظروفها الطارئة، وتقديره وشكره لما تفعل من أجله، وإجلاله لرسالتها في رعايته ورعاية بيتها وأبنائها، ويبشرها برضا الله وجناته.

ويعتبر نفسه مسؤولا بالدرجة الأولى عن تربية الأولاد وتنشئتهم، ويتحمل تبعات ذلك مع زوجته، ويرحم صغاره، ويشفق عليهم، ويحزم أمره معهم في موضع الحزم، ويحلم عليهم ويلين في موضع الرحمة، بل يشاركهم اللعب ويخالطهم ليكسبهم الدين والخلق.

ويقرن الأقوال بالأفعال فيشمر عن ساعديه ويساهم في الأعمال المنزلية في جميع الأوقات خاصة في ظروف زوجته الطارئة من مرض وحمل وولادة.

أقول لكل زوج لا تأنف أن تساعد زوجتك في الأعمال المنزلية ولو لم تكن ضرورة لذلك. فإن المشاركة حتى وإن كانت شعورية لها فعل السحر على الزوجة، ولا تظنّن أن هذا ينقص من قدرك وتذكر قول عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ وهو سيد البشر: أنه كان يخدم في مهنة أهله ويقطع لهن اللحم ويقم (يكنس) البيت، ويعين الخادم في خدمته.

كن نظيفا ترى الكون نظيفا

ورد الأثر عن الصحابي الجليل وابن عم رسول الله ﷺ ابن عباس أنه كان يتطيب عند الدخول على زوجته ويقول: "**إني أتزين لها كما تتزين لي**".

و هكذا فكما أنك تطالب زوجتك بالنظافة والترتيب في نفسها وفي بيتها وفي أولادها، فكن أنت نظيفاً في نفسك، مرتباً في هندامك وحاجياتك الشخصية. لا داعي لرمي حاجياتك حيثما اتفق، نظف مغسلة الماء بعد الحلاقة من أثر الشعر مثلاً، إن هذه التفاصيل الصغيرة الخاصة بك تعطيك شعورا بالجمال وتشعر زوجتك باهتمامك ومساعدتها في أعباء المنزل.

وعلى صعيد نظافة الزوج الشخصية فإن كثيرا من الزوجات يمنعهن الحياء من التصريح للزوج بأنها تتأذى من رائحة عرقه، أو ثياب عمله المتسخة، أو رائحة فمه، أو تبغه، لكن ينبغي على الزوج اللطيف أن لا يوصل الأمور إلى هذا الحد، فيراعي زوجته التي هي ألصق الناس جسديا به، فلا تشم منه إلا أطيب وأزكى ريح.

إذا لم تهتم فمن يهتم؟!

- **الزوج يصرخ:** أين وجبة الفاصولياء التي وعدتني بها؟.

الزوجة بهدوء: لقد ذكرتك بإحضار الفاصولياء ثلاث مرات خلال اليومين السابقين ولم تحضرها!.

- يدخل **الزوج** على البيت في ساعة متأخرة بعد سهرة مع أصحابه وطفلاه التوأم يبكيان دون انقطاع.

الزوج: سكتي ولديك لماذا يصرخان؟

الزوجة: بسبب المغص والغازات، لقد طلبت منك دواءً للمغص أو بعض الكمون والشومر منذ يومين وذكرتك مرارا دون فائدة.

- **الزوج:** اصنعي شايا بسرعة للضيوف.

الزوجة: لكن هل أحضرت السكر والأغراض الأخرى التي سجلتها لك على ورقة؟ **الزوج:** الورقة... يبدو أني مسحت فيها مرآة السيارة وألقيتها.

الزوجة: إذاً سأعمل شاي ساده لضيوفك.

كم تسر الزوجة بأن تجد زوجها قد لبى متطلبات الحياة اليومية لبيته من شراء مستلزمات الطعام والشراب والغسل وصيانة الأجهزة والمرافق، دون إلحاح وتذكير منها.

إنها تقف عاجزة في كثير من المواقف، فكيف تستطيع أن تسيطر على أطفالها الثلاثة إذا اضطرت لاصطحابهم للطبيب للكشف على رضيعها المريض؟! لأن والدهم مشغول مع أصحابه أو يشاهد مباراة مهمة في الدوري!!

و كيف تغسل الثياب أو تحفظ الطعام وقد تعطلت الغسالة والبراد ويحتاجان للصيانة، وقد كلّ لسانها وهي ترجو زوجها أن يقوم بإصلاحهما؟!

إن الزوج والأب الحقيقي هو الذي يتلمس حاجات زوجته وأطفاله ومستلزمات بيته وضروراته دون تذكير من أحد، ويضع تلك الحاجات في مقدمة أولوياته، ويقوم بواجباته دون إهمال وتلكؤ ونسيان، إنه بذلك يرفع عبئا كبيرا عن كاهل زوجته، ويدفعها لمزيد من تأمين الحياة السعيدة له ولأطفاله.

هل تجلس مع زوجتك؟

اجلس مع زوجتك واستمع لأحاديثها، وأنصتْ إليها باهتمام، ففي أحيان كثيرة تكون أنت مستمعها الوحيد الذي تطمئن إليه وتبوح له بمكنوناتها، بحكم أنك شريك حياتها وبحكم خصوصية العلاقة الزوجية التي لا تكون في أية علاقة أخرى، إن إصغاءك لحديثها يسعد قلبها، وينفّس عنها. و يعطي لحياتكما معنى روحيا عميقا، وتواصلا وتوافقا يقضي على الخلافات في مهدها.

واعلم أن سيد البشرية وخيرها ومن بعثه الله بالهداية للبشرية وكان مشغولا بهذه الرسالة العالمية العظيمة كان يصرف من وقته في الاستماع لزوجاته، حتى أنه صحّ حديث أم زرع المشهور بطوله الشديد والذي تقصُّ فيه أمنا عائشة رضي الله عنها على رسول الله ﷺ، وهو يحسن الإصغاء لقصتها الطويلة مع نسوة تحدثت كل منهن عن صفات زوجها وأخلاقه، حتى انتهت بأم زرع، التي أسهبت في ذكر محاسن زوجها وإحسانه في تعامله معها، ولما فرغت عائشة من حديثها أظهر تفاعله معها بقوله: "كنت لك كأبي زرع لأم زرع".

الغيبة مرفوضة.. الكذب ممنوع

لا تقبل بأي حال من الأحوال أن ينطوي حديث زوجتك على كذب أو غيبة في حق أحد من الناس خصوصا والديك أو أحد أفراد عائلتك، وكن صارماً شديداً في عدم قبول الغيبة وفي سدّ هذا الباب.

وحاول بالحكمة والموعظة الحسنة أن توجه حديثها للخير والتشاور فيما يصلح حياتكما والكلام النافع والكلم الطيب الذي يرضى عنه الله.

احفظ أسرار زوجتك

جميل أن تستمع لزوجتك باهتمام، لكن الأجمل أن تكون بئرا لما تأتمنك عليه من أسرار، لا تفشي لها سرا لأن ذلك يمثل ضربة قد تكون قاضية للثقة بينكما.

نقل **الغزالي رحمه الله** رواية عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق زوجته، فقيل له: "ما الذي يريبك فيها؟ فقال: العاقل لا يهتك سر امرأته، فلما طلقها قيل له: لم طلقتها؟ فقال: مالي وامرأة غيري".

و أعظم الأسرار وأخطرها أسرار غرفة النوم وما يحدث بينكما فإن إفشاء ذلك لأي كان من الناس يعد حراماً ولا يجوز على الإطلاق.

صمتك يثير قلق زوجتك

لا تعد إلى بيتك مقطب الجبين عابس الوجه، حاول أن تخلع عند عتبة دارك كل أعباء العمل وهمومه، ولا تحملنك مشاكل العمل على الصمت، وتذكر أن زوجتك تحب أن تجلس لتتحدث معها وإليها في كل ما يخطر ببالك من شؤون. إنها تفضل أن تحدثها عن هموم عملك وتشاركها في تفاصيل لا تعنيها على أن تكون عابسا صامتا، فإن صمتك يثير فيها القلق والشكوك.

هل أنت ممل؟

رغم حب المرأة أن يشاركها زوجها في موضوعاته وأحاديثه، إلا أنها قد تستحيي من أن تظهر له سأمها من أحد موضوعاته أو اهتماماته، فينبغي على الزوج اللمّاح ألا يترك الأمور تصل لحد أن تطالبه زوجته بصراحة أن يتوقف عن الحديث. كأن يكون مولعا بالحديث في السياسة وتحليلاتها، أو الرياضة وبطولاتها، أو التجارة وصفقاتها في حين أن هذه الموضوعات في الغالب الأعم لا تعني المرأة كثيرا.

ضع نفسك مكانها هل تتحدث أنت وأصحابك بشغف واهتمام عن الأثاث والأدوات المنزلية؟! بالطبع لا. فإن كنت لا تحتمل ذلك فهي أيضا لا تحتمل أن تسمعك لساعة وأنت تسبر غور الأحداث السياسية مثلا، أو تخوض في تفاصيل الدورات والبطولات الرياضية، لذلك حوّل مجرى حديثك لأمور مشتركة بينكما. ولا تفرض عليها اهتماماتك الشخصية.

إن أهم ما يعني زوجتك هو الحديث فيما يخصكما، أو مناقشة ما يصلح شأن البيت أو الأولاد، ومشاركتها في قرارات حاسمة حول مستقبلكما. لكن ما يجعل ظلال السعادة والفرح وغيوم الندى ترفرف على قلبها أن تحدثها عن حبك الذي يزيد لها بسبب إحسانها وإكرامها لك، أو أن تحدثها عن شوقك الذي لا يتوقف إليها، أو أن تمدح صنائعها وسجاياها

الحميدة، والأكثر شغفا لها أن تغازلها ولا بأس أن يكون الغزل جريئا إذا كنتما منفردين.

مازح زوجتك

إن أروع ما يرطب الحياة الزوجية، ويضفي عليها نكهة خاصة، الطبيعة المرحة وروح المداعبة التي يتحلى بها الزوجان، ولأن الزوج هو صاحب المبادرة فعليه أن يتحلى بهذه الروح الطيبة أولا، وبهذه الروح تتحول كثير من الصعوبات والأزمات إلى غيوم صيف عابرة.

كم تأنس الزوجة وتسعد وتحس بالأمان والثقة بنفسها عندما تجد أن زوجها يرسم على وجهها ابتسامة أو ضحكة بتعليقاته اللطيفة، أو بنكاته الخفيفة اللماحة، أو روحه المرحة في كل المواقف. وينبسط معها في الأحاديث الودية، وأن يهش ويستبشر بلقائها ولقاء أطفاله.

وبالمقابل كم تحس بالاضطراب والرهبة والخوف في التعامل مع زوجها الصارم العبوس، المتصنع الجدية في كل وقت، وقد يتحول هذا الاضطراب إلى انقباض عند دخوله إلى البيت، ورغبة في ابتعاده عنه أطول فترة ممكنة.

الفكاهة لا تتنافى مع الرجولة

يتوهم بعض الأزواج ومنهم متدينون أن مقام الزوج يعني الجدية والصرامة وأنه لا يجوز له أن يتبسط مع امرأته في الحديث والممازحة لأن ذلك يتنافى مع الورع وهيبة الرجل في بيته ولا يعلم هؤلاء الغافلون المنغلقون أن رسول الله ﷺ كان من أفكه الناس مع زوجاته، وكان يدخل السرور على قلوبهن، ويقصّ عليهن ما يؤنسهن، وروى الترمذي قوله ﷺ: "**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله**".

إن ذلك الجيل من الرجال العظماء، كانوا يفهمون معنى الرجولة الحقة التي لا تعني أن تكون مسؤولا متعجرفا في بيتك، بل أن تكون رجلا في المقامات كلها، وهذا المقام يقتضي السماحة واللطف مع الزوجة وإيناسها

وملاعبتها فهذا أمير المؤمنين عمر ﷺ يقول: "**ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي - أي في الأنس والبشر والسهولة - فإذا كان في القوم وُجد رجلا**".

أحمدها وامدحها

من الأهمية بمكان أن تحرص على امتداح زوجتك والثناء عليها إذا أحسنت، خاصة أمام عائلتك وعائلتها على حد سواء فإن هذا كفيل بتحسين صورتها أمام عائلتك، وإغلاق أي باب لقدحهم وذمهم فيها، وهو كفيل بطمأنة أهل زوجتك برضاك عن ابنتهم، واستحسانك لثمرة تنشأتهم.

لا تبخل بالكلام الحسن الطيب على زوجتك، واعلم أن كلمة بسيطة مثل (**جزاك الله خيراً على كل ما تبذلين من أجلي**) (**الله يسلمك**) (**الله يحفظك**) (**تسلم يداك**) لها أثر السحر وتغسل كل متاعبها واعلم أن شكر صاحب المعروف من الناس هو الطريق لشكر المنعم عز وجل ففي سنن الترمذي قال الرسول ﷺ: " **من لم يشكر الناس لم يشكر الله** ".

شارك زوجتك اهتماماتها

أحب أن أنقل هنا تجربتي الشخصية، فقد كانت زوجتي خاصة قبل أن نرزق بالأطفال، تحب قضاء بعض وقتها في ممارسة ألعاب الحاسوب، وبعض المسابقات الثقافية التي كنا نمارسها في طفولتنا وصبانا، والتي تحتاج للمشاركة في اللعب، وكنت لا أجد في نفسي الميل لهذه الألعاب، وأترفع عن مشاركة زوجتي لأني اعتبر مثل هذه الألعاب تلهي المرء عن مهمات عظيمة في الحياة، وأنه لا ينبغي للمسلم الجاد في مثل ظروف أمة الإسلام أن يلهو ويلعب.

وكشفت لي سيرة الرسول ﷺ الزكية. وانقضاء السنوات ووصولي لبعض النضج بأنني كنت مخطئا فيما ذهبت إليه، فهذا هو مزكي البشرية ومعلمها، المجاهد في سبيل الله حق الجهاد، أتقى الناس وأعبدهم لله، كان

يجد وسط هذه المهمات الكبرى وقتاً يشارك فيه زوجاته اهتماماتهن فيسابق عائشة رضي الله عنها فتسبقه مرة ويسبقها في المرة الأخرى فيقول لها مداعباً: "هذه بتلك".

وترغب عائشة في أن ترى مهارة لعب بعض رجال الحبشة بالسلاح في باحة المسجد فكان ﷺ يريها اللعب في باحة المسجد فيضع كفه على الباب، ويمد يده وتضع وجهها على كتفه، ويمكث على هذا الوضع حتى تمل هي وتذهب، فيذهب هو لشأنه.

الهدية تجدد الحُب

مهما كانت هديتك متواضعة، فثق أن صداها كبير جدا في نفس زوجتك، لأنها تعبير عن اهتمامك بها، إنها ترجمة فعلية لقولك **(أنا أحبك)** **(أنا مهتم بك)** **(أريد أن أدخل السرور على قلبك)** **(ابتسامة ثغرك هي شمس حياتي)** فاحرص على تجديد محبتها لك بهدية بين الفينة والأخرى.

تلمس منها ما تحبه من الهدايا، ولا بأس أن تجتهد في إهدائها ما تحب أنت كأنواع معينة من الثياب تحب أن تراها فيها، ستكون غالية ونفيسة جدا بالنسبة لها.

روّح عن زوجتك

تحتاج الحياة الزوجية للتقليب والتحريك وبعض المغامرة لتغيير رتابتها، ابتدع وسائل حب جديدة لزوجتك من خلال تغيير أسلوبك في التعبير عن حبك، واحرص على الخروج معها و التفسح والسفر، واعلم إن إمكانياتك المالية المتواضعة لن تحول بينك وبين ذلك.

إن خروجكما في نهار أو ليل إلى ساحة أو حديقة وتناولكما لبعض الشطائر والمرطبات المقرون بالسمر والحديث والممازحة له أثر السحر في تبديد رتابة الحياة، وإيقاد نار الحب بينكما.

إن جلوسكما على صخرة في ليلة مقمرة أمام شاطئ بحر أو حتى على شرفة بيتكما وتغزل كلاكما بنصف القمر هي دفق روح جديدة لحياتكما.

مخدع الحب جوهر العلاقة الزوجية

إن العلاقة الجسدية (الجنسية) بين الزوجين هي قوام وجوهر العلاقة الزوجية، ومدى نجاحها ينعكس على الحياة الزوجية بأسرها. وإليك بعض الآداب والوصايا والمحاذير التي ينبغي عليك مراعاتها في هذا الإطار للوصول إلى إسعاد زوجتك وبالتالي إسعاد نفسك:

احفظ بصرك :-

- إن من أهم أسباب سعادتك الزوجية وتمتعك بزوجتك وأن تقر عينك بها، هو امتناعك عن النظر المحرم للنساء، والعري المبثوث في الفضائيات وشبكة الإنترنت، لأنه لا يقود إلا لمزيد من الإثم وتشتت الذهن وازدرائك لزوجتك مهما تجملت وتصنعت لك، وبالتالي إعراضك عنها وإهمالك لحاجتها إليك، مما يجعل حياتها مليئة بالاضطراب والتعاسة وإذا لم يعصمها دينها ويردها يقينها بالله فقد تقع في الإثم والشبهات. وإني أدعو كل رجل مسلم راعٍ في بيته ومسؤول عن رعيته أن يكف عن ملابسة الآثام التي تورثه وتورث بيته التعاسة ولا شك، وليضع نصب عينيه الثمرات المرة للمعاصي، والثمرات الطيبة في الدارين للانتهاء عنها، تمعن هذا الحديث النبوي الذي أخرجه الحاكم وإن كان في رواته ضعفاء، عن حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "**النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، من تركها مخافة من الله أعطاه الله عبادة يجد حلاوتها في قلبه**".

علمها أساليب مثيرة : -

- اعلم أن زوجتك مفطورة على الحياء عن إظهار رغبتها إليك، لكنك تستطيع أن تدرك ذلك، وتستطيع أن تشجعها على رفع الحرج، غازلها بجرأة ودللها ، وعلمها أساليب جديدة ومثيرة.
- رغم أن حاجة الرجل للمرأة تتسم بالنهم، لكن حاول بقدر الإمكان أن تتخيّر الوقت المناسب للجماع، وإن استطعت ألا تطلب زوجتك أثناء انشغالها وانصراف ذهنها بمشاغل أولادها وبيتها فإن النتائج ستكون أفضل.

سطح البئر و قعره : -

- لا بد أن تراعي التفاوت بين الرجل والمرأة في الوصول إلى الإشباع الجنسي، إن رغبة ومتعة الرجل يمكن الوصول إليها بسهولة ويسر فهي طافية على السطح، أما رغبة المرأة ومتعتها فتستقر في قعر بئر وتحتاج لمن يبذل الجهد لاستخراجها. فلا تكن أنانيا بأن تقضي وطرك من زوجتك وتتركها دون قضاء حاجتها ووطرها منك. واعلم أن سعادتك الجنسية والوصول لقمة رغبتك تكون بوصولها هي أيضا لقمة رغبتها.
- إن مراعاة حاجة زوجتك تكون بحرصك على مقدمات الجماع مهما طالت من مغازلة وملاعبة وتقبيل ومداعبة، لأن هذه الأمور بالنسبة للمرأة أساسية، لا تصل بدونها لقضاء وطرها.
- صارحها بما تحب في وقت الجماع، تناقشا بصراحة وتعلما من المصادر الموثوقة ما يصلح علاقتكما الجنسية ويطورها لتؤدي هدفها المنشود.
- حذار من الوقوع في المخالفات الشرعية التي حرمها الله عز وجل في العلاقة الجسدية بين الزوج وزوجته، كإتيان المرأة في دبرها، أو في حيضها و نفاسها، أو القيام بالعملية في حضور أطفالك، أو نشر أسرار غرفة النوم إلى أحد من الناس.

كيف يعمر الزوج بيته؟

إن واجب الزوج بداية أن يختار الزوجة الصالحة، صاحبة الدين والخلق الكريم، وأن يأخذ بيدها منذ الليلة الأولى لطاعة الله ومحبته ومرضاته.

ولعل في هدي الرسول ﷺ وسنته التي شرعها لكل مسلم في ليلة زفافه من البدء قبل الجماع بصلاة ركعتين إماما بزوجته ثم الدعاء بالخير والبركة، له دلالة واضحة على واجب الزوج من أن يقيم حياته الجديدة على أساس متين من طاعة الله وأن يقود زوجته للخيرات وينهاها عن المهلكات.

أن يأمرها بالمعروف وينهاها عن المنكر، ويتابع أداءها لصلواتها امتثالا لأمر الله ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: 132]، إن متابعة صلاة الزوجة ليس نوعاً من الوصاية عليها في أمر هي تعلم أنه مفروض عليها، ولكنه ناتج عن انشغال الزوجات بالبيوت والأبناء، وحاجتهن الدائمة للتذكير بأداء الصلوات في أوقاتها.

نصائح للزوج

إليك أيها الزوج الكريم بعض النصائح المفيدة بصدد البيوت العامرة بالإيمان، واعلم أن هذه النصائح تنطوي على الأسباب الحقيقية لتحقق السعادة الزوجية :

- علم زوجتك توحيد الله عز وجل، وأصول إيمانها بالله، والمعنى الحقيقي لشهادة التوحيد، ولماذا كانت شهادة التوحيد هي سبب النجاة يوم القيامة؟ وأن عدم تحققها في الإنسان يعني أنه لا فائدة في عمله كله، وتأكد من خلو قلب زوجتك من أنواع الشرك والخرافات والبدع كالاستغاثة بالمخلوق أو زيارة القبور أو إتيان الكهنة والعرافين والتصديق بالطالع وقراءة الفنجان والأبراج وغير ذلك من الإفك والضلال.

تصرف بحكمة :-

- لا تتهاون في شأن المخالفات الشرعية التي تقع في بيتك، ولا تسمح بها، ولكن في إطار من المعالجة السليمة، وعدم التشنج في تناول الأمور، واعلم أن كل ممنوع مرغوب، فلا تظنن أنك إذا حرمت زوجتك وأولادك من مشاهدة التلفزيون – مثلا - أنك اقتلعت شرور القنوات الفضائية من جذورها بالنسبة لبيتك، بل عالج مثل هذه الأمور بالتشاور مع زوجتك والنقاش الهادئ المفضيان للاقتناع، واعلم أن حل المشاكل من جذورها إنما يكون بتفعيل الإيمان بالله وتعظيم أوامره، وإن إفراغ القلب من اتباع الأهواء والشهوات وملئه بحب الله وتعظيم أوامره كفيلان بإنشاء رقابة ذاتية يرشد بها الإنسان ويعصم.

هل بيتك قبر؟

- اقرأ القرآن في بيتك ومع زوجتك وأكثر من ترديد سورة البقرة وأولها رعاية خاصة، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**" واعلم أن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره ويقل شره، ويخرج منه الشياطين، وتتنزل فيه الملائكة عليهم السلام.
- ما أروع أن تردد أذكار الصباح والمساء مع زوجتك، وأن تذكرا الله معا وأنتما متقاربان متلامسان، إنها لذة روحية لا يعرفها إلا من ذاق حلاوتها، إن المحافظة على الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ في سائر الأحوال خاصة أن ترقي نفسك وأبناءك بآية الكرسي والإخلاص والفلق والناس أمر في غاية الضرورة لحفظ البيوت من الحسد وشرور الليالي والأيام.

- اقرأ أنت وزوجتك ولو لدقائق معدودات في أحاديث المصطفى ﷺ وفوائدها ومن أفضل الكتب النافعة في هذا الباب (رياض الصالحين)، إن الالتزام بهذا المجلس يكون سببا في تنزل السكينة والرحمة إلى بيتك، وأن تحفه الملائكة.

واقعية... لا مثالية

على كلٍ من الزوجين ألا ينشد المثالية والكمال في شريكه، وألا يقف على الهفوات وتوافه الأمور، ويقع عليهما أيضا عند الخلاف ووقوع المكدرات وخيبات الأمل، أن يفكرا بالعاقبة، ولا ينسيا ما بينهما من أولاد، وليتذكر كل منهما الجوانب المضيئة في شريكه، ولتشفع حسنات شريك الحياة لسيئاته، وليجعلا قول الله عز وجل قائدا لهما حيث قال سبحانه:

﴿... وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

[البقرة: 237]، ولينظر الزوجان لوصية رسولنا محمد ﷺ في هذا الشأن عندما قال: " لا يفرك (يبغض) مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر"، وليتمعن الزوجان فراسة وحكمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وأرضاه عندما جاءه رجل يشكو زوجته ويخبر أمير المؤمنين عمر بأنه ينوي تطليقها لأنه لا يحبها، فيجيبه عمر ﷺ وأرضاه: "ويحك وهل لا تقوم البيوت إلا على الحب فأين الرعاية والتذمم؟ ".

ولله در شاعر الجاهلية القائل:

ومن لا يشرب كثيرا على القذى

يظمأ وأي الناس تصفو مشاربه

الرسول يوصي المرأة بزوجها خيرا

لا أضيف جديداً عندما أقول أن الأسرة وحدة بناء المجتمع تماماً كما أن الخلية الحية هي وحدة بناء الجسد ، وأن حالة ووضع هذه الوحدة ينعكس على مجمل البناء صلاحاً أو فساداً.

و لعل هذا ما يفسر أن الكثير من وصايا الرسول ﷺ للنساء تتصل بعلاقتهن بأزواجهن، ذلك أن صلاح البيت المسلم الذي يمثل الزوجان ركنيه الركينين ينعكس حتماً على صلاح المجتمع بأسره.

لقد تنوعت أحكام وإرشادات النبي ﷺ للنساء بخصوص أزواجهن، لكن الخيط الذي ينظمها جميعاً هو حرص الرسول ﷺ على صلاح الدين والدنيا في بيوت المسلمين وبالتالي قوة مجتمعهم وأمتهم.

في الصفحات القادمة نتفيأ مع أخواتنا المسلمات ظلالاً وارفةً من هدي محمد ﷺ ووصاياه للمرأة المسلمة في حق زوجها.....

أعظم الناس حقاً على المرأة؟

أعظم الناس حقاً على الرجل أبويه خاصة أمه، أما المرأة فأعظم الناس حقاً عليها زوجها. فعن أمنا عائشة رضي الله عنها قالت: **"سألت النبي ﷺ أي الناس أعظم حقاً على المرأة قال: زوجها. قلت: فأي الناس أعظم حقاً على الرجل؟ قال: أمه"**.[1]

(1) إسناده ضعيف:أخرجه الحاكم في المستدرك برقم(150/4) والبزار برقم(1462) وقال الهيثمي في المجمع (309/4) فيه أبو عتبة. ولم يحدث عنه غير مسعر، وبقية رجاله رجال الصحيح.

لقد أكد الرسول ﷺ عظيم حق الرجل على زوجته بأنه كاد أن يأمرها بالسجود له لولا أن السجود من العبادات التي لا تنبغي لأحد إلا لله عز وجل، فعن قيس بن سعد قال: **"أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم (هو من الأساقفة أو البطارقة)، فقلت: رسول الله أحق أن يسجد له. قال: فأتيت النبي ﷺ فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فأنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك، قال: أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له؟ قال: قلت: لا. قال: فلا تفعلوا، لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن، لما جعل الله لهم عليهن من الحق".** (1)

وبهذا فقد بين المصطفى ﷺ عظيم حق الرجل على امرأته، بل هي حقوق كثيرة فرضها الشرع الحنيف على المرأة تجاه زوجها، ولا يصلح دينها ولا يقبل الله أعمالها الأخرى مهما أحسنت فيها ما لم تؤدِ تلك الحقوق، لأن طريق المرأة لمرضاة ربها لا يكون إلا بمرضاة زوجها عنها، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: **"أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة".** (2)

والسؤال الآن ما هو المطلوب من المرأة تجاه زوجها حتى تؤدي حقه عليها؟ فتلقى السعادة والرضا في الدارين.

أ) عدم الامتناع عن فراشه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح".

---

(1) إسناده حسن في الشواهد: أخرجه أبو داود برقم(2140) والحاكم برقم(187/2) وفي سنده شريك النخعي، وحديثه حسن في الشواهد كما قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في المسند والحديث حسن دون جملة القبر.

(2) حديث منكر: أخرجه الترمذي برقم(1161) وابن ماجه برقم (1854) وفي سنده مساور الحميري، وأمه فانهما مجهولان كما قال ابن الجوزي في الواهيات(141/2) وقال الألباني في السلسلة الضعيفة(1426) حديث: منكر.

وفي رواية: "والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها". [1]

إنه تحذير نبوي من خطورة امتناع المرأة عن فراش زوجها، ووصية لها بأن لا تتلكأ في الاستجابة لزوجها إلا إذا منعتها عبادة مفروضة عن الجماع كصيام رمضان أو الإحرام، وأما إذا كانت معذورة من مرض شديد أو حيض فينبغي أن تستجيب له بقدر ما تسمح به حالتها الصحية، وله أن يستمتع بها وهي حائض في حدود ما سمح الشرع بالتمتع بالمرأة الحائض دون إتيانها، أما إذا دعاها لحرام كأن يأتيها وقت حيضها أو في دبرها فإنها تمتنع عن ذلك لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

إن حاجة الرجل للمرأة تتسم بالقوة والنهم عموماً، وتصبح حاجته للمرأة من أكبر المشوشات عليه في دينه ودنياه إن لم تُشبع على النحو الذي شرعه الله، وهذا يفسر وصية الرسول ﷺ للمرأة بتمكين زوجها من قضاء وطره منها مهما كان نوع انشغالها، أو على أي وضع كانت **فعن أبي علي طلق بن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور".** (النار التي يخبز فيها الخبز) [2] يؤيد ذلك رواية معاذ رضي الله عنها التي منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "..... **والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على قتب (أي على ظهر جمل) لم تمنعه".**

---

(1) متفق عليه، رواه البخاري - كتاب النكاح، ورواه مسلم – كتاب النكاح – باب تحريم امتناعها عن فراش زوجها. إسناده صحيح: أخرجه مسلم برقم(1436) وأبو داود برقم(2141) وغيرهما.

(2) حديث حسن: أخرجه الترمذي برقم(1160) والنسائي برقم (254/4) وابن حيان في صحيحه برقم (4153) والطبراني برقم(398/8).

ب) استئذان زوجها قبل أن تصوم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه". [1]

يرشد الحديث الشريف إلى حكم وثيق الصلة بعدم جواز امتناع المرأة عن فراش زوجها ألا وهو عدم صيامها تطوعاً وزوجها شاهد إلا أن تستأذنه، لأن حقه في الاستمتاع بها مقدم على تطوعها.

وبالتالي فينبغي على المسلمة ألا تشعر بضيق أو حرج أو شعور بالتفريط عند ترك بعض النوافل من صيام أو صلاة تلبية لرغبة وحاجة زوجها، ولتعلم أن تلبيتها لحاجة زوجها قربة وطاعة يحبها الله ويقبلها منها لا تقل عن تنفلها بل هي أوجب وأكد، وأن الله واسع عليم شكور يطلع على صدق نيتها في أداء النوافل وأنه لم يمنعها من ذلك إلا طاعة الزوج فيثيبها عليها كأنما فعلتها، وييسر لها فعل الخيرات والتقرب إلى الله بالطاعات.

د) لا تخرج إلا بإذنه

روى الطبراني أن رجلا خرج وأمر امرأته أن لا تخرج من بيتها فمرض أبوها. فاستأذنت النبي ﷺ فقال لها: "أطيعي زوجك فمات أبوها فاستأذنت منه في حضور جنازته فقال لها: أطيعي زوجك"، فأرسل إليها النبي صلى الله عليه وسلم: "أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها [2].

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (5195) ومسلم برقم(1026) وغيرهما.
(2) إسناده ضعيف: أخرجه الطبراني في الأوسط برقم(7648) وفي سنده عصمة بن المتوكل، فهو ضعيف، انظر مجمع الزوائد(316/4).

أما إذا علمت المرأة من زوجها رضاه بخروجها لزيارة والديها أو أرحامها، بسكوته الذي يعني الإذن بذلك، أو أن يكون قد عوّدها زيارة والديها في وقت معين، فلا بأس والأفضل أن تعلمه بذلك، لما في ذلك من طمأنينة له ولإشعاره بأنه هو صاحب الشأن وأن الخروج مرهون بإذنه.

ربما يظن البعض أن في ذلك تقييد لحرية المرأة وحبس لها وتشديد عليها ، والأمر غير ذلك تماماً، إن الأمر لا يعدو أن الأسرة سفينة لابد من قيادتها وقد تكون قرارات الربان تحتاج لمشاورة من هم على ظهر السفينة لكن في النهاية لا بد للقبطان من اتخاذ قرار يلزم الجميع عند اختلاف الآراء، وجعل الله القيادة للزوج ليس تشريفاً له بل تكليفاً يحاسب عليه لأن الله عز وجل لا يحابي الرجل على حساب المرأة (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً).

وأجد من المناسب هنا أن أذكر بعض التوضيحات الهامة في شأن قوامة الرجل على المرأة ناقلاً بتصرف من تفسير (في ظلال القرآن) لسيد قطب رحمه الله، في تفسيره قول الله عز وجل:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ . . . ﴾ (النساء: 34)

يقول رحمه الله: "إن هذا النص في سبيل تنظيم المؤسسة الزوجية وتوضيح الاختصاصات فيها لمنع الاحتكاك بين أفرادها، بردهم جميعاً إلى حكم الله لا حكم الهوى والانفعالات، يحدد النص أن القوامة في هذه المؤسسة للرجل ويذكر من أسباب هذه القوامة: تفضيل الله للرجل بمقومات القوامة، و ما تتطلبه من خصائص ودربة، وتكليف الرجل الإنفاق على المؤسسة.

إن الأسرة هي المؤسسة الأولى في الحياة الإنسانية. الأولى من ناحية أنها نقطة البدء التي تؤثر في كل مراحل الطريق، والأولى من ناحية الأهمية لأنها تزاول إنشاء وتنشئة العنصر الإنساني، وهو أكرم عناصر هذا الكون.

و إذا كانت المؤسسات الأخرى الأقل شأناً والأرخص سعراً كالمؤسسات المالية والصناعية والتجارية لا يوكل أمرها إلا لأكفأ المرشحين لها، ممن تخصصوا في هذا الفرع علمياً، وتدربوا عليه عملياً، فوق ما وهبوا من استعدادات طبيعية للإدارة والقوامة....

إذا كان هذا هو الشأن في المؤسسات الأقل شأنا والأرخص سعراً.. فأولى أن تتبع هذه القاعدة في مؤسسة الأسرة، التي تنشئ أثمن عناصر الكون.... العنصر الإنساني.

وقد جعل الله عز وجل من وظائف المرأة أن تحمل وتضع وترضع وتكفل ثمرة الاتصال بينها وبين الرجل، وهي وظائف ضخمة أولاً وخطيرة ثانياً، وليست هينة ولا يسيرة، بحيث تؤدى بدون إعداد عضوي ونفسي وعقلي عميق غائر في كيان الأنثى، فكان عدلاً كذلك أن ينوط بالشطر الثاني –الرجل– توفير الحاجات الضرورية. وتوفير الحماية كذلك للأنثى، كي تتفرغ لوظيفتها الخطيرة.... وكان عدلاً كذلك أن يمنح الرجل من الخصائص في تكوينه العضوي والعصبي والعقلي والنفسي ما يعينه على أداء وظائفه...

ومن ثم زودت المرأة بالرقة والعطف وسرعة الانفعال والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة بغير وعي ولا سابق تفكير لأن الضرورات الإنسانية العميقة كلها حتى في الفرد الواحد لم تُترَك لأرجحة الوعي والتفكير وبطئه، بل جعلت الاستجابة لها غير إرادية لتسهل تلبيتها فوراً وفيما يشبه أن يكون قسراً

ولكنه قسر داخلي غير مفروض من الخارج، ولذيذ ومستحب في معظم الأحيان كذلك، لتكون الاستجابة سريعة من جهة ومريحة من جهة أخرى مهما يكن فيها من المشقة والتضحية.

و كذلك زود الرجل فيما زود به من الخصائص بالخشونة والصلابة وبطء الانفعال والاستجابة واستخدام الوعي والتفكير قبل الحركة والاستجابة. لأن وظائفه كلها من أول الصيد الذي كان يمارسه في أول عهده بالحياة إلى القتال الذي يمارسه دائماً لحماية الزوج و الأطفال. إلى تدبير المعاش، إلى سائر تكاليفه في الحياة.. لأن وظائفه كلها تحتاج إلى قدر من التروي قبل الإقدام، وإعمال الفكر، والبطء في الاستجابة بوجه عام!

وهذه الخصائص تجعله أقدر على القوامة، وأفضل في مجالها.. كما أن تكليفه بالإنفاق يجعله بدوره أولى بالقوامة، لأن تدبير المعاش للمؤسسة ومن فيها داخل في هذه القوامة، والإشراف على تصريف المال فيها أقرب إلى طبيعة وظيفته فيها..

إذا هي قوامة لها أسبابها من التكوين والاستعداد ولها أسبابها من توزيع الوظائف والاختصاصات ولها أسبابها من العدالة في التوزيع من ناحية، وتكليف كل شطر بالجانب الميسر له.

ولكن ينبغي أن نقول: إن هذه القوامة ليس من شأنها إلغاء شخصية المرأة في البيت ولا في المجتمع الإنساني، ولا إلغاء وضعها المدني وإنما هي وظيفة داخل كيان الأسرة لإدارة هذه المؤسسة الخطيرة وصيانتها وحمايتها". [1]

---

(1) في ظلال القرآن (649/2).

هـ) رعاية الزوج وبيته

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راعٍ، والرجل راعٍ على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته" (1)

تثير وصية الرسول ﷺ في الحديث السابق للنساء السؤال التالي:

هل ما تؤديه المرأة في بيت زوجها عادة من خدمة له بإعداد الطعام وتجهيزه وغسل الثياب وكيها وأعمال التنظيف والترتيب، هل الأعمال السابقة واجبة في حقها وتدخل ضمن الأعمال التي استرعاها الله عليها وكلفها بها ويسألها ويحاسبها عليها، أم أنها تفعل ذلك تطوعاً ونزولاً على عرف جرى الناس عليه؟

قبل الإجابة على السؤال السابق وترجيح أحد الأمرين، أورد ثلاثة أحاديث نفهم من خلالها هذا الأمر...

أما الأول فعن ريحانة رسول الله ﷺ ابنته فاطمة رضي الله عنها وأرضاها...

"قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لقد تزوجت فاطمة وما لي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل، ونضعه على الناضح (هي الدابة التي يستقى عليها) بالنهار، وما لي ولها خادم غيرها".

وعنه أيضاً: أن فاطمة رضي الله عنها اشتكت ما تلقى من الرحى مما تطحن فبلغها أن رسول الله ﷺ أَتي بسبي (رقيق) فأتته تسأله خادماً فلم توافقه (فلم تجده)، فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء أخبرته عائشة، قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم فقال: "على مكانكما" فجاء فقعد بيني وبينها

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (6/2) ومسلم برقم(1829) والترمذي برقم(1705) وأحمد برقم(5/3) وغرهما.

حتى وجدت برد قدميه على بطني فقال: " ألا أدلكما على خير مما سألتماني؟ إذا أخذتما مضاجعكما أو أتيتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين فهو خير لكما من خادم". [(1)]

و قد حكم رسول الله صل الله عليه وسلم بين علي بن أبي طالب وبين فاطمة رضي الله عنهما، فجعل على فاطمة خدمة البيت ، وجعل على علي العمل والكسب. [(2)]

ولقد جرت رضي الله عنها بالرحاء (الرحى أداة تطحن بها الحبوب) حتى أثرت في يدها الشريفة، واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها، وقمّت (أي كنست البيت) حتى أغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دنست (أي وسخت) ثيابها الطاهرة.

وأما الثاني فعن بنت الصديق أسماء رضي الله عنهما قالت: "تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح (هو الجمل الذي يحمل عليه ماء السقي) وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء و أخرز غربه (أخيط دلوه) وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكن نسوة صدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير، التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي، وهي مني على ثلثي فرسخ (الفرسخ يساوي ثلاثة أميال)، فجئت يوماً والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار، فدعاني، ثم قال: "إخ إخ"، ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، وكان أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت، فمضى، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب، فاستحييت منه وعرفت غيرتك،

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (3705) ومسلم برقم (2727).
(2) فقه السنة (148/2).

فقال: والله لحملك النوى كان أشد من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إليّ أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني" [1]

وأما الحديث الثالث في هذا الباب فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "**لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ولو أن رجلاً أمر امرأته أن تنقل من جبل أحمر إلى جبل أسود، ومن جبل أسود إلى جبل أحمر لكان نولها أن تفعل**". [2]

بعد استعراض الأحاديث السابقة أقول وبالله التوفيق: ذهب الجمهور أنه ليس على المرأة خدمة زوجها من العجن والخبز والطبخ ونحو ذلك لأن المعقود عليه من جهتها هو الاستمتاع فلا يلزمها ما سواه.

يقول الإمام النووي في بيان معنى حديث أسماء: "هذا كله من المعروف و المروءات التي أطبق الناس عليها، وهو أن المرأة تخدم زوجها بهذه الأمور المذكورة ونحوها من الخبز والطبخ وغسل الثياب، وغير ذلك، وكله تبرع من المرأة وإحسان منها إلى زوجها، وحسن معاشرة، وفعل معروف معه، ولا يجب عليها شيء من ذلك، بل لو امتنعت من جميع هذا لم تأثم، ويلزمه هو تحصيل هذه الأمور لها، ولا يحل له إلزامها بشيء من هذا، وإنما تفعله المرأة تبرعاً وهي عادة جميلة استمر عليها النساء من الزمن الأول.. وإنما الواجب على المرأة شيئان تمكينها زوجها من نفسها، و ملازمة بيته". [3]

و يذهب ابن قدامه المقدسي لما ذهب إليه النووي حيث قال: "وليس على المرأة خدمة زوجها من العجن والخبز والطبخ وأشباهه نص عليه أحمد... ولنا أن

---

(1) إسناده صحيح : أخرجه مسلم واللفظ له برقم(2182) البخاري برقم(5224).

(2) صحيح دون: أخرجه ابن ماجه برقم(1852) الحاكم برقم (172/4) وهذا إسناد ضعيف فيه علي بن زيد بن جدعان فهو ضعيف، والحديث صحيح دون الشطر الثاني: ((ولو أن رجلا أمر امرأته أن تنقل من جبل....))

(3) شرح صحيح مسلم للنووي(164/14).

المعقود عليه من جهتها الاستمتاع فلا يلزمها غيره كسقي دوابه وحصاد زرعه. فأما قسم النبي ﷺ بين علي وفاطمة رضي الله عنهما فعلى ما تليق به الأخلاق المرضية ومجرى العادة، لا على سبيل الإيجاب، وأما فعل أسماء فلم يكن واجباً عليها، ولهذا لا يجب على الزوجة القيام بمصالح خارج البيت... ولكن الأولى لها فعل ما جرت العادة بقيامها به، لأنه العادة ولا تصلح الحال إلا به ولا تنتظم المعيشة بدونه". [1]

وأما الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله فله رأي آخر عند ذكره لزوم خدمة الزوجة زوجها فيقول: "هذا أمر لا ريب فيه ولا يمنع التفريق بين شريفة ودنيئة، وفقيرة وغنية، فهذه أشرف نساء العالمين كانت تخدم زوجها" يقصد بذلك فاطمة رضي الله عنها وأرضاها.

ويؤيد قول ابن قيم الجوزية فريق آخر من العلماء (أبو بكر بن أبي شيبة وأبو إسحاق الجوز جاني) "أن عليها ذلك واحتجا بقصة علي وفاطمة، فإن النبي ﷺ قضى على ابنته فاطمة بخدمة البيت وعلى علي ما كان خارجاً من البيت من عمل".

وقد علق الجوز جاني على حديث عائشة رضي الله عنها قال: "فهذا طاعته فيما لا منفعة فيه (نقل الجبل الأحمر أو الأسود) فكيف بمؤنة معاشه؟ وقد كان النبي ﷺ يأمر نساءه بخدمته، فيقول: يا عائشة اسقينا، يا عائشة أطعمينا، يا عائشة هلمي بالشفرة، واشحذيها بحجر". [2]

مما سبق نعلم أن أهل العلم انقسموا إلى فريقين في هذا الأمر فالجمهور يرى أن خدمة المرأة لزوجها وأولاده أمر مستحسن جرت العادة والعرف عليه،

---

(1) المغنى/ لابن قدامة(8/130-131) .

(2) من كتاب نظرات في السنة..قضايا تهم المرأة، حجازي إبراهيم، بتصرف.(ص/15) وما بعدها.

ولكنه تبرع وإحسان منها ومحافظة على صلاح بيتها، وليس على الزوج أن يلزمها بشيء من ذلك.

وأما الفريق الآخر من أهل العلم فيرى أن رعاية المرأة لبيت زوجها والقيام على شؤون إصلاحه واجب في حقها وأن هذا حكم الرسول ﷺ إذ قضى على ابنته فاطمة رضي الله عنها بخدمه البيت وقضى على علي رضي الله عنه بما كان خارج البيت.

و أجدني ميالاً لترجيح الرأي الثاني، وإن لم يشتمل عقد النكاح بين الزوجين على هذا الأمر فإن روح عقد الزواج يقصد منها إقامة بيت على هدى وخير وسكينة وصلاح في الدين والدنيا ولا يكون ذلك إلا بقيام الزوجة على شؤون بيتها وإصلاحه وخدمة زوجها وولدها لأنها هي الوحيدة القادرة على القيام بذلك أحسن قيام، وأظن أن هذا من ضمن ما استرعاها الله عليه في قول نبيه ﷺ **"والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها"**.

ثم إن اهتمامها بإصلاح شأن زوجها وأولادها يتناغم تماماً مع الفطرة التي فطر الله نساء العالم جميعاً عليها من الاهتمام بالطهي والتنظيف والترتيب ورعاية الولد.

و) عدم إيذاء المرأة زوجها

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله! فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا"** (1)

(1) حديث صحيح: أخرجه الترمذي برقم(1174) وابن ماجه برقم(2014) وقد أورده الألباني في السلسلة الصحيحة(173) وفي صحيح الجامع(7192) وقال: حديث صحيح.

وللأذى أشكال كثيرة جداً كالنشوز والعصيان، وإيذاء من يحب ويجب عليه برهم كوالديه وولده وأرحامه، وكثرة المراء والجدال، والتعيير بالفقر، والسب والغيبة، وعدم حفظ عهده وسره...، وبالجملة فكل ما من شأنه أن يعكر حياة الزوج ويسبب له التعاسة والأذى يقع تحت هذا الباب.

ز) عدم نكرانها خيره

عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: " **أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن. قيل أيكفرن بالله قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط** ". [1]

إن ذكر المرأة الصالحة لحسنات زوجها وعدم نسيانها الفضل بينهما، من صفات الصلاح وقوة الدين ويظهر ذلك في حضور الزوج وغيابه على السواء، بل المحك يكون أشد في غيابه، حيث تتساهل كثير من النساء إذا اجتمعن سوية أن يغتبن أزواجهن، ويذكرونهم بما يكرهون.

ح) حفظ الزوج في الغيب

روى ابن جرير الطبري بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك**"، وفي رواية : ثم قرأ رسول الله ﷺ قول الله عز وجل ﴿... فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله.﴾ [2] (النساء: 34).

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم(29) و(431) و(748) ومسلم برقم (907) وغيرهم.

(2) إسناده صحيح: أخرجه مسلم برقم (1467) وابن مامجه برقم(1855) والنسائي في المجتبى برقم (96/6) وغيرهم.

و في رواية مسلم عن عبد الله بن عمرو: " **الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة، إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا أقسمت عليها أبرتك، وإذا غبت عنها حفظتك في عرضها ومالها**". [1]

قال القاسمي رحمه الله في تفسيره (ري الغليل من محاسن التأويل) قانتات: أي مطيعات لله في حق أزواجهن، وحافظات للغيب بما حفظ الله: أي يحفظن حقوق أزواجهن في حضورهم وغيابهم. وأما سيد قطب رحمه الله فيتعمق في إيحاء لفظة (قانتات) فيقول: "القنوت هو الطاعة عن إرادة وتوجه ورغبة ومحبة، لا عن قسر وإرغام وتفلت... ومن ثم قال (قانتات) ولم يقل (طائعات)... وأما الحفظ فهو من طبيعة المؤمنة الصالحة، ومن صفتها الملازمة لها... أن تكون حافظة لحرمة الرباط المقدس بينها وبين زوجها في غيبته – وبالأولى في حضوره– (وذلك ليس خوفاً من زوجها أو المجتمع بل طاعة لله والتزاماً بما أمر الله) وهذا معنى "بما حفظ الله". [2]

وهكذا فإن الإطار العام الذي يحوي واجبات المرأة تجاه زوجها، وحقوقه عليها التي أسلفنا الحديث عنها هو عبودية لله والرغبة إليه والرجاء في ثوابه، والخوف من عقابه، لا مهابة من زوجها فتلتزم بتلك الواجبات في حضوره، فإذا غاب تنكرت له وخانته في نفسها وماله وأطلقت لسانها عليه بالسوء.

فالمرأة الصالحة تتعبد الله بأداء حقوق زوجها، وتعلم أن طاعتها له، وحفظها له في نفسها وماله وعهودهما وأسرارهما وحفظ بيته وولده في الغيب والشهادة، وصبرها على عيوبه، وإحسانها إليه، هو جسرها الذي تعبر به لجنات الله ورضوانه.

---

(1) حسن لغيره: اخرجه الطيالسي برقم (2325) والبغوي برقم(519/1) وهذا إسناد ضعيف، فيه : ابو معشى- وهو نجيح- فهو ضعيف وقد اروده الألباني في السلسلة الصحيحة(1838).

(2) تفسير الظلال (652/2) بتصريف.

حسن تبعل المرأة يعدل جهاد الرجل

أتت أسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنها النبي ﷺ فقالت: إني رسولُ مَنْ ورائي من جماعة نساء المسلمين، كلهن يقلن بقولي، وعلى مثل رأيي: إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك، واتبعناك، ونحن معاشر النساء مقصورات، مخدرات، قواعد بيوت، وإن الرجال فُضلوا بالجُمُعَات وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم، وربينا أولادهم. أفنشاركهم الأجر يا رسول الله؟ فالتفت ﷺ إلى أصحابه فقال: "**هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها؟**" فقالوا: بلى يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم: "**انصرفي يا أسماء، وأعلمي من وراءك من النساء أن حُسْنَ تبعُّل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته، واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال**".[1]

أجر المرأة إذا تصدقت على زوجها

عن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**تصدقن يا معشر النساء ولو من حُليِّكن**"، قالت: فرجعت إلى عبد الله بن مسعود فقلت له: إنك رجل خفيف ذات اليد (كناية عن قلة ماله)، وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فأته فأسأله فإن كان ذلك يجزئ عني، وإلا صرفتها إلى غيركم، فقال عبد الله: بل ائتيه أنت، فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتها، وكان رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة (الهيبة والإجلال)، قالت فخرج

---

(1) حسن لغيره: أخرجه الطبراني في الكبير برقم(12163) والبزار برقم(1474) وهذا إسناد ضعيف فيه: رشدين بن كريب وهو ضعيف، وقد أروده الهيثمي في المجمع(305/4)

علينا بلال، فقلنا له: إئتِ رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما؟ وعلى أيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحن. فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله، فقال له رسول الله ﷺ من هما؟ قال: امرأة من الأنصار وزينب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أي الزيانب؟) قال: امرأة عبد الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لهما أجران، أجر القرابة وأجر الصدقة**". (1)

أرشد الرسول ﷺ النساء في وصيته الأولى "**تصدقن يا معشر النساء ولو من حُليِّكن**" إلى أهمية تصدق النساء حتى لو اقتضى الأمر أن تنفق المرأة في سبيل الله من حليّها وما تتزين به من الذهب وغيره، إنها بذلك تتقي أهوال يوم القيامة والوقوف والمسائلة بين يدي الديّان، وتجعل من صدقاتها حجاباً واقياً بينها وبين نار جهنم، أجد ذلك واضحاً في حديث آخر بنفس المعنى يحذر فيه الرسول ﷺ النساء من النار وأنهن من أكثر أهلها ويبين السبيل لتجنب هذا المآل فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "**يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار" قالت امرأة منهن: مالنا أكثر أهل النار قال: "تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن" قالت: ما نقصان العقل والدين؟ قال شهادة امرأتين بشهادة رجل وتمكث الأيام لا تصلي**" رواه مسلم(2).

وهكذا فإن وصية الرسول ﷺ للنساء بالصدقة لا تتعلق بالنساء العاملات المتكسبات، بل تشمل النساء جميعاً خاصة أن عامة النساء لا يعملن ولا يتكسبن، ومن هنا تبرز قيمة إيثار المرأة الصالحة المؤمنة الآخرة على زخرف

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (1466) ومسلم برقم (1000) والترمذي برقم(630) وابن ماجه برقم (1834) وأحمد برقم(3/502) وغيرهم.
(2) إسناده صحيح: أخرجه مسلم برقم(132) وأبو داود برقم (4679) وابن ماجه برقم (4003) وغيرهم.

الدنيا وزينتها، فرغم ولعها بحليّها وذهبها إلا أنها تضحي به أو بجزء منه خوفاً من يوم عبوس ثقيل ورجاءً في رضوان الله وجنته.

أما إجابة الرسول ﷺ على سؤال زينب وصاحبتها في الحديث السابق بقوله: **"لهما أجران، أجر القرابة وأجر الصدقة"**، فهي فتوى من الصادق المصدوق ﷺ للمرأة بأن خير صدقاتها التي تكون على زوجها الفقير، لأنها بذلك تصيب أمرين: التصدق، وإصلاح شأن الزوج الفقير وتخفيف أعباء الحياة عنه، فيكون أجرها مضاعفاً. مصداقاً لقول الله عز وجل الذي قدم فيه نفقة ذوي القربى على غيرهم: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 21).

وفي هذا السياق لابد من توضيح أمرين في غاية الأهمية متعلقين بطرفي هذا الإنفاق:

بالنسبة للزوج المتلقي لنفقة زوجته فينبغي أن يعي تماماً أن إنفاق زوجته عليه من مالها سواء كان ذلك من مهرها أو حليّها أو ميراثها عن ذويها أو تجارتها أو وظيفتها أو غير ذلك، إنما هو محض إحسان من الزوجة وليس من باب الواجب في حقها، فهي غير مكلفة بالإنفاق على زوجها أو أولاده.

بل الإنفاق عليها وإن كانت غنية واجب عليه يقوم به غير متفضل ولا ممتن به عليها وإن كان مأجوراً عند الله عز وجل.

أسوق هذا التنبيه لأن كثيراً من الأزواج في زماننا يعتبرون ذلك حقاً مكتسبا لهم وواجباً على الزوجة تجاه بيتها، وأن الإنفاق على بيت الزوجية مسؤولية مشتركة، بل إن بعض الأزواج الذين لا يقيمون اعتباراً لكلام الله ورسوله ﷺ ليتصرفون في أموال نسائهم دون الرجوع إليهن ومشاورتهن، أو يكرهونهن على بيع حليهّن التي هي جزء من مهورهن ويعتبرون أن أصل تلك

الحلي من أموال الزوج، وهذا بلا شك أكل لمال الزوجة بالباطل. و مخالفة وعصيان لكلام الله القائل في كتابه: ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ (النساء:4). أي أن يعطي الزوج لزوجته مهرها عطاءً عن رضى وعن طيب خاطر فهو حق لها لتمكينه من نفسها وإفضائها إليه، فإن تنازلت هي بملء إرادتها وعن طيب نفس منها لزوجها عن شيء من مهرها فلا بأس أن يأخذه ويتصرف فيه. ووصف الله عز وجل آخذ الرجل من مهر زوجته مهما كان كثيراً مُكْرِهاً له أنه باطل وإثم واضح، قال الله عز وجل: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (النساء: 21/20) ولا يتسع المقام هنا لتعقب المخالفات الشرعية التي يوقعها الأب والأخ والزوج في مجتمعاتنا على حقوق المرأة المالية واستقلاليتها التي حباها بها ربها عز وجل.

أما الأمر الثاني الذي ينبغي توضيحه و يتعلق بالمرأة المنفقة على زوجها أو التي تشاركه في الإنفاق على بيت الزوجية، هو عبارة عن وصية ينبغي أن تتحلى بها حتى يثبت الأجر لها عند الله وتحافظ على بيتها ومشاعر زوجها.

ينبغي عليها أن تحذو حذو زينب الثقفية زوج عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما في محافظتها على ود زوجها وحرصها على مشاعره من خلال اختيارها ألطف الألفاظ والكنايات لما قالت له: (إنك رجل خفيف ذات اليد)، ويظهر أيضا من استئذانها له في أمر إنفاقها عليه قبل أن تشرع في ذلك، وأكثر ما يتضح ذلك في وصيتها لبلال رضي الله عنه (ولا تخبره من نحن) حتى تستر فقر زوجها وحاجته وتحفظ سر بيتها.

إن المرأة الصالحة هي التي تفعل ذلك إرضاءً لله وطلباً للمثوبة عنده قبل طلبها رضاء زوجها، وبالتالي فإنها لا تتبع ما أنفقت بالمن والأذى لزوجها فيضيع عملها هباءً منثوراً في الدارين حيث تخسر زوجها وبيتها، ويحبط عملها عند الله مصداقاً لقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ . . .﴾ (البقرة: 264).

ما نقص مال من صدقة

عن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما بقي منها؟" قالت: ما بقي منها إلا كتفها. قال: "بقي كلها غير كتفها!" [1]

وعن أسماء بنت أبي بكر لصديق رضي الله عنهما قالت: قال لي رسول الله ﷺ: **"لا توكي فيوكيَ الله عليك"**. وفي رواية **"أنفقي أو انفحي أو انضحي، ولا تحصي فيحصي الله عليك، ولا توعي فيوعيَ الله عليك"** [2]

في الحديث الأول تصدقت عائشة رضي الله عنها بالشاة كلها وأبقت على كتفها، فبين الرسول ﷺ أن ما ينفعهم يوم القيامة هو ما تصدقت به عائشة وليس الكتف الذي سيأكلون، فإنه فانٍ زائل، أما الصدقة فثوابها باقٍ خالد.

وفي الحديث الثاني فإن الرسول ﷺ يوصي أسماء، لا توكي: أي لا تشددي وتدخري ما عندك وتمنعي ما في يدك، فيقطع الله عليك. ولا توعي: أي

---

(1) **حديث صحيح:** أخرجه الترمذي برقم(2470) وقال الترمذي والألباني في جامع الترمذي : حديث صحيح.

(2) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (1434) و(1433) و(2590) ومسلم برقم (1029) والنسائي برقم (5/ 73-74) وغيرهم.

تمنعي ما فضل عنك. فيوعي الله عليك: أي يصيبك الله بشدة ويمنع عنك فضله وجوده.

إن المطلوب من كل مسلمة صالحة ألا تستكثر ما تنفق في سبيل الله فهو سبيل نجاتها من النار وفوزها برضا الرحمن وجنته، ففي الحديث المتفق على صحته: **"ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه عز وجل ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار، ولو بشق تمرة".**

ونستفيد من تصدق أمنا عائشة رضي الله عنها بمعظم الشاة فائدة هامة جداً تحتاجها المرأة المسلمة في حياتها ألا وهي جواز إنفاق وتصدق المرأة من مال زوجها ، فلقد روى البخاري ومسلم وغيرهما: **"إذا أنفقت المرأة من كسب زوجها من غير أمره فله نصف أجره"** وفي رواية **"فلها نصف أجرها"**. وقد يكون ذلك من خلال ما وهبها هو من مال أو من مصروف بيتها إذا أحسنت تدبيره فبقي معها فضل مال تصدقت به. وعليها كذلك ألا تحول بين زوجها وبين الزكوات والصدقات خوفاً من فقر لأن الله يقول: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 26)، بل ينبغي عليها أن تحذر زوجها من عدم أداء الزكاة لأن ذلك كبيرة من الكبائر، وأن تحمله على الصدقة وتعده بثمارها الطيبة في الدنيا من التزكية والتطهر من الذنوب والبركة في المال والأولاد والمداواة بالصدقات فقد ورد في الأثر **"داووا مرضاكم بالصدقات"**، وتبشر زوجها بالثواب الباقي والدرجات **العالية** إن تصدق.

أجر رعاية المرأة لبناتها

عن عائشة رضي الله عنها قالت: **جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها (فمها) تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها (طلبت بنتاها التمرة الثالثة)، فشقّت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار"** [1]

في رواية أخرى عقّب الرسول ﷺ على ذلك فقال: **"من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كُنّ له ستراً من النار"**. ولعل تخصيص رعاية البنات في الحديثين السابقين لأن العرب كانوا يكرهون البنات، ويصل الأمر بهم لوأدهن، فجاء الإسلام فأنصفهن، وجعل حسن تربية البنات والإنفاق عليهن سبباً لدخول الجنة والنجاة من النار وكلمة "ابتلي" الواردة في الرواية الثانية بمعنى اختبر وسمي ابتلاءً لكراهة بعض الناس للبنات.

صلة الوالدين والبر بهما

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: **"قدمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: قدمت عليَّ**

(1) إسناده صحيح: أخرجه مسلم برقم(2630) وأحمد برقم (92/6) والسيوطي في جمع الجوامع برقم(4907) وفي الدر المنثور برقم(338/1) وغيرهم.

أمي وهي راغبة (أي طامعة تسألني شيئاً)، أفأصل أمي؟ قال: "نعم، صلي أمك". [1]

"نعم، صلي أمك" جواب الرسول ﷺ على استفتاء أسماء رضي الله عنها، أي أكرميها وصليها بأنواع البر المختلفة امتثالاً لقول الله عز وجل: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ (لقمان: 15).

إنها رحمة الإسلام التي وسعت كل شيء حتى الأبوان والأقارب الذين بقوا على كفرهم وعنادهم وتكذيبهم بدينك، عليك أن تصلهم وتكرمهم وتبرهم.

إنها وصية نبوية كريمة لكل فتاة ملتزمة بدينها في زماننا أن تحسن وتكرم أبويها ولو بدا منهما كفر أو فسوق أو عصيان لله ورسوله، نعم لا تقرهما على كفر ولا تطيعهما في معصية كما أمرتها الآية الكريمة، وتبين الحق كما أمرها ربها وتغضب لدين الله و حرماته إذا ما انتهكها أحد والديها أو كلاهما، وتحزن على تفريطهما في جنب الله، ولا تشهد معهما مشاهد المعصية، ولكن حذار أن يأخذها الغضب لحرمات الله للإساءة إليهما، وسوء الصحبة معهما.

و حذار من تطبيق مفهوم البراءة من الشرك والكفر والفسوق على حسن العشرة والبر بالوالدين.

إن اتساع قلبها الكبير لهما، ومقابلة كفرهما وعنادهما باللين والسماحة في التعامل (أقول في التعامل وليس في موافقتهما الفكرية على الضلال)، تقود بلا شك مع دعائها الخالص ودعوتهما بالحكمة والنصح الرقيق إلى الهداية

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم(2620) ومسلم برقم (1003) وأبو داود برقم(1668) وغيرهم.

والتوبة والرجوع لرحاب الله، وأما المقاطعة والغلظة فلا تفضي إلا لتشددهما وتشبثهما بما هما عليه.

إكرام الجارة لجارتها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة**". [1]

و الفرسن هو عظم قليل اللحم، واستخدامه في هذا الموضع له دلالة على أهمية الهبة والهدية بين الجيران مهما كانت متواضعة، لأن التهادي طريق إلى التحاب والتآلف والتلاحم بين الجيران.

فهذا الصحابي الجليل أبو ذر رضي الله عنه يقول: "إن خليلي ﷺ أوصاني "**إذا طبخت مرقة فأكثر ماءهُ، ثم انظر أهل بيت من جيرانك، فأَصِبْهم منها بمعروفٍ**". [2]

وأما أولى الجيران بالإحسان والمعروف والهبة فهو الأقرب باباً فقد سألت عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: "**إلى أقربهما منك باباً**". [3]

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم(2566) و(6017) ومسلم برقم(1030) وغيرهم.
(2) إسناده صحيح: أخرجه مسلم برقم(2625) والترمذي برقم(1833) وابن ماجه برقم (362) وغيرهم.
(3) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (2595) وأحمد برقم (239/6) والبيهقي برقم(275/6) والحاكم برقم (4/176) والبغوي برقم (523/1).

ماذا تصنع المرأة في زوجها الشحيح؟

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قالت هند امرأة أبي سفيان للنبي صلى الله عليه وسلم: إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي، إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم. قال: "**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**". [1]

الرجال معادن منهم من هو أجود من الريح المرسلة، ينفق بسخاء، ويوسع على والديه وزوجه وولده وأرحامه بل جيرانه و أضيافه، حتى أنه ليقعد ملوماً محسوراً بعد نفاد ما بيده. ومنهم متوسط الإنفاق الآخذ بهدي القرآن الكريم في التوسط قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا** ﴾ (الإسراء: 29).

وأما الصنف الثالث فهو مبغوض من الله ومبغوض من الناس، وهو البخيل الشحيح الذي يحبس المال عن أهله ويتركهم عرضة للفاقة والحاجة والنظر لما في أيدي الآخرين، فإذا ابتليت المرأة بمثل هذا الصنف فقد أباح لها الرسول ﷺ في فتواه أن تأخذ حقها من مال زوجها بغير إذنه وعلمه لأنه إنما يمنعها من ذلك بغير حق، ولأنه مضيع أمراً استرعاه الله عليه وكما ورد في الأثر "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول" وفي رواية "من يقوت". ومن المهم أن يكون أخذها من مال زوجها بالمعروف أي من غير تجاوز للحد بل تأخذ الحد المعقول الذي يكفيها وأولادها بغير سرف.

قال ابن قدامة رحمه الله : في حديث هند زوج أبي سفيان دلالة على وجوب النفقة للمرأة على زوجها، وأن ذلك مقدر بكفايتها.

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم(5364) ومسلم برقم (1714) وغيرهم.

« وقرن في بيوتكن »

عن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي رضي الله عنهما أنها جاءت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله: **إني أحب الصلاة معك**، قال: "**قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي**". قالت : فأمرت فبني لها مسجد في أقصى بيت من بيوتها وأظلمه، فكانت والله تصلي فيه حتى ماتت." [1]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "**إن أحب صلاة المرأة إلى الله في أشد مكان من بيتها ظلمة**". [2]

ومن اللطائف الجميلة التي تروى في هذا الباب قصة وردت عن الزبير وكان شديد الغيرة، أنه تزوج امرأة فكانت تخرج إلى الصلاة في المسجد فيرغب إليها ألا تخرج، فَتُلِحَّ عليه لأجل الصلاة، ولا يستطيع منعها لأنه يعلم أن ذلك مسموحٌ في حقها خاصة مع ورود الأثر النبوي "**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**"، وفي رواية "**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وبيوتهن خير لهن**"[3].

فخرجت مرة فكمن لها في الطريق فلما مرت قرص عجيزتها (قرصها من خلفها)، فرجعت من فورها إلى بيتها وهي تسترجع (أي تقول إنا لله و إنا إليه راجعون) وتستغفر، فامتنعت من الخروج بعد ذلك، فسألها الزبير عن سبب

---

(1) حديث حسن: أخرجه أحمد برقم (27090) وابن حبان برقم (2217) وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في المسند: حديث حسن.

(2) حسن لغيره: أخرجه بن خزيمة برقم(1691) وقال الألباني في الترغيب: حسن لغيره.

(3) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (900) ومسلم برقم(442) وأبو داوود برقم(595).

ذلك، فقالت: " كنا نخرج يوم كان الناس ناسا، فلما تغيرت قلوبهم تركنا الخروج".

رغّب الله عز وجل النساء في القرار في بيوتهن، فقال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾. (الأحزاب: 33).

و فضل الشارع عدم خروجهن من بيوتهن حتى بقصد العبادة في المساجد، يقول سيد قطب رحمه الله: ".. وقر من يقر. أي ثقل واستقر، وليس معنى هذا الأمر ملازمة البيوت فلا يبرحنها إطلاقاً. إنما هي إيماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل في حياتهن، وهو المقر وما عداه استثناءً طارئاً لا يثقلن فيه ولا يستقررن. إنما هي الحاجة تُقْضَى، وبقدرها. والبيت هو مثابة المرأة التي تجد فيها نفسها على حقيقتها كما أرادها الله تعالى.." (1)

إن الناظر نظرة سريعة للجامعة والشارع ووسيلة المواصلات ومكان العمل، ليجد أن الشر الذي وصل إليه مجتمعنا الآن من ضعف الإيمان ورقة الدين وفساد الأخلاق ومشاكل الأسر والبيوت نابع بالدرجة الأولى من تساهل النساء في الخروج والاختلاط بالرجال والتبرج.

على المرأة المسلمة أن تثوب لرشدها وتلتزم بيتها ولتعلم أن اهتمامها بإصلاح بيتها وأولادها وشأن زوجها وتلاوتها كتاب الله وذكرها لربها في بيتها يحيله جنةً على الأرض، وأن خروجها من مملكتها بغير حاجة ولا ضرورة عون للشيطان على نشر الفتن والفساد.

---

(1) في ظلال القرآن(2856/5) .

تغليظ تحريم تطيب المرأة خارج بيتها

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية**" [1]، وعن زينب الثقفية أن رسول الله ﷺ قال: "**إذا خرجت إحداكن إلى المسجد فلا تقربن طيباً**". [2]

من الواضح أن المرأة إذا خرجت مستعطرة فإنها تحرك داعي الشهوة عند الرجال، لذلك ورد التحريم في ذلك قطعاً لدابر الفتنة وحفاظاً على طهارة المجتمع.

ومن تأمل حديث زينب وجد أن تحريم تطيب المرأة لم يستثنِ خروجها إلى المسجد، وهو مكان طهارة وعبادة فما بال مريدة السوق والشوارع وغيرها.

تحريم مصافحة الرجال

عن أميمة بنت رقيقة قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نساءٍ لنبايعه، فأخذ علينا ما في القرآن: أن لا نشرك بالله شيئاً.. (آية سورة الممتحنة) وقال: "فيما استطعتن وأطقتن" **قلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا. قلنا: يا رسول الله: ألا تصافحنا؟ قال: "إني لا أصافح النساء، إنما قولي لامرأة واحدة قولي لمئة امرأة".** [3]

---

(1) حديث حسن : أخرجه أحمد برقم (4/414-418) أبو داود برقم (4173) والنسائي برقم (153/8) والحاكم في المستدرك برقم(2/396).

(2) اسناده صحيح :أخرجه مسلم برقم (4/163) والنسائي برقم(154/8) والبيهقي برقم (133/3).

(3) إسناده صحيح: أخرجه أحمد برقم (27006) والترمذي برقم (1597) والنسائي برقم (152/7) وقال شعيب الأرنووط في المسند: إسناده صحيح.

وعن عائشة - رضي الله عنها – قالت: " **ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط غير أنه بايعهن بالكلام**". [1] أخرج الطبراني في الكبير عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: "**لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له**". [2]

انتشر بين النساء مصافحة من لا يحل لهن من الرجال، وإذا نصحت إحداهن وحذرتها من شدة حرمة ذلك قالت: (فلان مثل أخي، هل سيأكلني إذا صافحني، أستحي أن أردَّ من مد يده... وغير ذلك من الكلام الذي لا يغني عنها من الله شيئاً) أو تتهم المسلم الذي ينهاها عن ذلك بالتشدد ومرض القلب والشبق.

أقول لهذه الفئة من الأخوات إذا كان المعصوم الصادق الطاهر محمد ﷺ لا يصافح النساء، إذهاباً للريبة عن نفسه مع أنه أبعد الناس عنها، ولا يخطر في قلبه خطرات الشيطان. فما بالك بذئاب اليوم من الرجال!؟

تحريم الخلوة بالرجل

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "**لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم**". [3]

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**إياكم والدخول على النساء!**" فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ (قريب الزوج كأخيه وابن أخيه وابن عمه) قال: "**الحمو الموت!**". [4]

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (2713)و(2733)و(4182)و(5288).
(2) إسناده حسن: أخرجه الطبراني في الكبير برقم(211/20) وانظر السلسلة الصحيحة (226).
(3) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (3006) ومسلم برقم (1341) وغيرهم.
(4) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (5232) ومسلم برقم (2172) والترمذي برقم (1171).

قال الله تعالى: ﴿ . . . وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ . . . ﴾ (الأحزاب: 53).

أمر الله المؤمنين في هذه الآية بعدم الخلوة بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا سألوهم حاجة أن يكون السؤال من خلف ستر أو حجاب، وطبعاً هذا الأمر ليس خاصاً بنساء النبي ﷺ بل هو مع غيرهن من النساء أولى، لأنه إذا علمنا أن هذا السلوك واجب مع نساء النبي ﷺ مع كونهن أمهات لجميع المؤمنين ومحرمات عليهم تحريماً أبدياً فكيف يكون السلوك مع النساء الأخريات؟

إن العلاقة بين المرأة والرجل الأجنبي عنها ينبغي أن يراعى فيها الحذر الشديد، وسد كل أبواب الذرائع المفضية للشبهات، لذلك فإن الرسول ﷺ شدد في اختلاء المرأة بالرجال وزاد في تشديد الأمر مع أقارب زوجها قال النووي: "أي أن الخوف منه – أي القريب – أكثر من غيره والشر يتوقع منه والفتنة أكثر، لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير نكير بخلاف غير القريب".

ومجتمعنا يقع في الصورة المخالفة لهذا الهدي النبوي كثيراً خاصة مع أقارب الزوج ويصل الأمر ببعض النساء، أن إحداهن تتكشف ولا تلبس الحجاب أمام أسلافها بحجة أنه يحرم عليهم نكاحها حرمة مؤقتةً ، وأنهم صاروا إخواناً لها، وكم حصل من الهلاك وخراب بيوت الزوجية بسبب هذا التهاون الخطير. إنه تحذير من الرسول ﷺ لكل مسلمة بألا ترضى بالوقوع في الإثم وفتح الأبواب المفضية للفاحشة.

تحريم نظر المرأة لعورة المرأة

عن أبي سعيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "**لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد**". [1]

تتساهل النساء في التكشف على بعضهن، ويصل الأمر لحد ارتياد بعض النساء لصالونات التجميل لإزالة الشعر غير المرغوب فيه، ولا يجدن حرجاً في ذلك، ولا تجد هذه الصالونات من يضرب على يد أصحابها ويمنعهم، بل إن إعلاناتهم عن هذه الخدمة وأسعارها تنشر في الصحف والمجلات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ينبغي على المرأة المسلمة أن تعلم أن جميع بدنها عورة بالنسبة للرجل الأجنبي عنها ويشمل ذلك أسلافها وجميع أقارب زوجها وأقاربها كأبناء العم وأبناء الخال، وكذلك فبدنها جميعه عورة بالنسبة للكافرات، أما بالنسبة للمسلمات فعورتها من السرة إلى تحت الركبة لا يجوز لأحد من الناس النظر إلى هذه العورة ولا حتى والدتها إلا زوجها فله أن يفضي إليها وتفضي إليه والإفضاء في الثوب الواحد الوارد في الحديث هو الإضجاع والنوم تحت غطاء واحد متجردين من الثياب.

(1) إسناده صحيح: اخرجه مسلم برقم (338) وأبو داود برقم(4018) والترمذي برقم (4018) والترمذي برقم(2793) وابن ماجه برقم (661) وغيرهم.

نهي النساء عن تغيير خلقتهن

قال الله تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً * لَّعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً * وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً * أُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً ﴾ (النساء:117 -12).

إذا فهي معركة مع الشيطان، بدأت لما نزع عن أبوينا آدم وزوجه لباسهما ليريهما سوآتهما، وقد كان له ذلك بسبب مخالفة آدم عليه السلام لأمر الله، لأن ثمرة المعصية انكشاف سوآت وعورات الجسد والنفس، وقد عاهد الشيطان ربه أن يستمر في المعركة ضد آدم وولده إلى يوم يبعث الله الخلائق، وأن يضل كثيراً منهم بأمور شتى، وأن يزين قبح المنكر في عيونهم، وأن يعدهم الوعود الكاذبة، فتكون عاقبتهم الخسارة والهلاك بالطرد من رحمة الله ودخول النار كما هو مصير الشيطان.

وتشير الآيات الكريمة إلى باب هام يلج منه الشيطان للنفوس البشرية، وخاصة نفوس النساء ألا وهو أمره إياهن بتغيير الفطرة والخلقة التي خلق الله عليها النساء، فقد أمر الله النساء بالستر والعفاف والحجاب وعدم إظهار الزينة إلا أمام أصناف محددة، ونهاهن عن الاختلاط بالرجال ونهاهن عن الخضوع بالقول.... إلى آخر ذلك من أوامر الله التي تحفظ سائر المجتمع.

جملة القول أن الله عز وجل أمر بكل ما من شأنه أن يحفظ على المرأة حيائها الذي فطرت عليه، وصانها بأوامره عن كل دنس وأذى، وحصنها من كل سوء، فكانت استقامة المرأة على أوامر الله دليل على صلاح أمر المجتمع وتنزل البركة والرضا عليه من السماء، وكان انحراف المرأة عن أوامر الله إشارة واضحة على فساد الأمة بأسرها وإيذان من الله لها بالهلاك. فعن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية رضي الله عنه عام حجٍّ، على المنبر، وتناول قُصّة شعر (خصلة شعر) كانت في يد حرسي (شرطي) فقال: يا أهل المدينة، أين علماؤكم؟ سمعت النبي ﷺ عن مثل هذه، ويقول: "**إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم**" [1]

في الفقرات القادمة ينهى الرسول ﷺ نساء أمته عن اتباع الشيطان في باب تغيير الخلقة والفطرة الإلهية، وتحذير من كيد الشيطان لهن، وتزيينه لقبح المنكر في عيونهن.

أ) لعن النساء المترجلات

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "**لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء**". وفي رواية: "**لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال**". [2]

يبلغ تشديد تحريم تشبه المرأة بالرجال الحد الذي يوجب لعنة الله عليها، مما دعا العلماء أن يعتبروا تشبه المرأة بالرجل في لبسه وقصة شعره ومشيته

(1) اسناده صحيح: أخرجه البخار برقم (211/4) ومسلم برقم (2127) والبيهقي برقم(290/4) والحميدي برقم (600) والطبراني برقم (326/19) وغيرهم.
(2) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (5885) والترمذي برم (2784) وأبو داود برقم (4097) وابن ماجه برقم (1904) وغيرهم.

وحركاته من الكبائر لأن اللعن يعني الطرد من رحمة الله، وهذا إنما يكون مع إتيان الإنسان أمر يبغضه الله ويمقت عليه ويطرد فاعله من رحمته.

إن شيوع لبس النساء ملابس الرجال، وسراويل الرجال، ومحاكاتهن في قص شعورهن لقصات شعور الرجال، مسخ في الفطرة ويوجب غضب الله ومقته.

ب) نهي المرأة عن حلق رأسها

و يأتي في هذا السياق نهي الرسول ﷺ المرأة أن تحلق رأسها، فعن علي رضي الله عنها قال: "**نهى رسول الله ﷺ أن تحلق المرأة رأسها**". [1]

وقريب من حلق الرأس تخفيفه جداً، كما تصنع الكافرات، والفاسقات، ولكن من الضروري أن أشير أن التداوي أحياناً يتطلب حلق الرأس كأن تكون المرأة تحتاج لعملية جراحية في رأسها، أو يتساقط شعرها رغماً عنها بسبب علاجات معينة فهذا أمر ليس بيدها .

ج) تحريم وصل الشعر

عن أسماء رضي الله عنها: أن امرأة سألت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن ابنتي أصابتها الحصبة فتمرق شعرها، وإني زوَّجتها، أفأصل فيه؟ فقال: "**لعن الله الواصلة والموصولة**". وفي رواية: "**الواصلة و المستوصلة**" [2]

---

(1) اسناده ضعيف: أخرجه النسائي برقم (5049) والترمذي برقم(914) وفي سنده اضطراب وهو من همام. فكان تارة يجعله من مسند علي، وتارة من مسند عائشة وهذا أصح، وقد أورده الألباني في السلسلة الضعيفة(678).

(2) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم(5936) ومسلم برقم (2122) وغيرهما.

فتمرق **شعرها**: انتثر وسقط، **الواصلة** : التي تصل شعرها أو شعر غيرها بشعر آخر، **والموصولة**: التي يوصل شعرها، و **المستوصلة**: التي تسأل من يفعل لها ذلك.

لقد سألت تلك الصحابية رضي الله عنها الرسول ﷺ عن جواز وصل الشعر مع توفر الداعي لذلك وهو مرض أصاب ابنتها فسقط شعرها، ثم تزوجت البنت فرغبت الأم في وصل شعر ابنتها. ومع توفر السبب الباعث للعمل إلا أن إيمان الرعيل الأول من الصحابة بالله وصدق اتباعهم و إخلاصهم لدين الله يمنعهم عن إتيان أي فعل قبل السؤال، وفي هذا درس لنا جميعاً وللمرأة المسلمة خاصة بأن تبحث في الحكم الشرعي قبل الشروع في أي فعل. ولا تقدم قولها على قول الله عز وجل وقول رسوله مستجيبة لقول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ (الحجرات: 1)، وأن تستجيب لأوامر الله عز وجل ورسوله الكريم محمد ﷺ وتعلم أن الفلاح والنجاح في الدارين هو بالتزام أوامر الله مهما بدا تطبيقها صعباً لأن الله عز وجل يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ . . . ﴾ (الأنفال: 179).

ولهذا استجابت تلك الصحابية لنهي الرسول ﷺ لها عن وصل شعر ابنتها، ولم تجادل في ذلك لعلمها أن الخير والحياة الحقيقية باتباع أوامر الشرع الحنيف، فلم تجد في نفسها حرجاً مما قضى ﷺ وسلمت تسليماً.

د) النهي عن خضاب الشعر بالسواد

عن جابر رضي الله عنه قال: أتِيَ بأبي قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما يوم فتح مكة، ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**غيّروا هذا، واجتنبوا السواد**". (1)

و عموم الأمر للرجال والنساء كما بوَّب الإمام النووي، ويحرم استعمال السواد لصبغ الشعر، لما في ذلك من الخداع والإيهام بصغر السن ويجوز الصبغ بالحناء و الكتم و الخضاب بألوان غير الأسود.

د) النهي عن نتف الشيب

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "**لا تنتفوا الشيب، فإنه نور المسلم يوم القيامة**". (2)

إنه نور للمسلم والمسلمة وضياء للوجه وبهاء وإشراق للفطرة، وقد ورد أن الله تعالى يستحيي أن يعذب ذا الشيبة في الإسلام.

هـ) تحريم مغلظ للوشم والنمص والوشر

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ﷺ: "**لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيِّرات خَلْقَ الله. فقالت له**

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه مسلم برقم(2102) والنسائي في المجتبى برقم(138/8) وأبو داود برقم (4204) وغيرهم.

(2) حسن صحيح: أخرجه أبو داود بقم (4202) وأحمد برقم 210/02) والبغوي برقم(95/12) وابن حبان برقم (1479) وانظر السلسلة الصحيحة برقم(247/3).

امرأة في ذلك، فقال: ومالي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله؟ قال الله تعالى : "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا". [1]

(مفردات الحديث) **الواشمة**: فاعلة الوشم، وهو أن يُغْرَزَ في الجلد شيءٌ ليخرج الدم ثم يذر على الموضع كحل أو نيل فيخضر به أو يزرق، ثم لا يزول حتى الموت، و **المستوشمة**: يصح أن تكون هي التي تطلب أن تفعل الوشم بغيرها بأجر أو بدون أجر، ويصح أن تكون التي تطلب الوشم لنفسها. **النامصة**: التي تأخذ من شعر حاجب غيرها وترققه، و **المتنمصة**: التي تأمر من يفعل بها ذلك. و **المتفلجة**: هي التي تبرد من أسنانها ليتباعد بعضها عن بعض قليلاً، واسم الفعل (الوشر).

عمّ البلاء في زماننا هذا بشيوع هذه المعاصي بين النساء وإن كان إتيان الرجال لمعصية الوشم في الجاهلية الحديثة أكثر من النساء، و الوشر ينتشر في البوادي أكثر من القرى والحواضر. لكن الأكثر شيوعاً في هذه المعاصي هو ترقيق غالب النساء وبعض الرجال للحواجب.

إن هذه المعاصي علامات لفساد الأمة و كثرة الملعونين فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله. إنه تحذير لكل امرأة تريد أن تنجو بنفسها من النار، وتريد أن تجنب بيتها الشر والطرد من رحمة الله أن تكف عن هذه المعاصي، ولتعلم أنه لا يجوز تغيير شيء من الخلقة التي خلق الله تعالى عليها الإنسان سواء كان التغيير بزيادة أو نقص، للتجميل أو الإيهام بصغر السن، لتقليد الأخريات أو اتباعاً للموضة فكل ذلك طاعة للشيطان ونبذ لفطرة الرحمن ومعصية للرسول الكريم الحريص على نجاة الأمة.

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم(4886) ومسلم برقم (2125) و غيرهما.

وفي المباحات الأخرى مندوحة للمرأة المسلمة عن هذه المعاصي، فقد أباح الشرع استخدام الحناء للشعر والأطراف، وأباح تغيير الشيب بغير السواد، وأباح للمرأة التزين والتطيب لزوجها، ورخص لها في إزالة الشعر الذي ينبت مكان اللحية والشوارب.

تحريم استخدام آنية الذهب والفضة

عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **"الذي يشرب في إناء الفضة إنما يُجَرْجِرُ في بطنه نار جهنم"**. [1] وفي رواية مسلم **"من شرب في إناءٍ من ذهب أو فضة فإنما يُجَرْجِرُ في بطنه ناراً من جهنم"**.

تتباهى بعض النساء بما في بيوتهن من أطباق الفضة والملاعق المطلية بالذهب، ولا يعلمن أنهن يتباهين بما يجلب سخط الله، وان الاستزادة من هذه الأواني إنما هي استزادة من النار. ولا يعلمن أن هذه الأواني إنما يتخذها الكافرون في الدنيا ويحرمون منها في دار القرار حيث تكون خالصةً للمؤمنين فقد روى حذيفة رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ نهانا عن الحرير والديباج، والشرب في آنية الذهب والفضة. وقال: **"هن لهم في الدنيا، وهي لكم ي الآخرة"** [2]، والمحروم هو الذي يترك متاع الآخرة الخالد من أجل حظ عاجل في الدنيا.

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم(5634) ومسلم برقم(2065) وغيرهما.
(2) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم(5633) ومسلم برقم(2067) وغيرهما.

التحذير الشديد من الغيبة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: "حسبك من صفية كذا وكذا. قال بعض الرواة: تعني قصيرة، فقال: "**لقد قُلْتِ كلمةً لو مُزِجَتْ بماء البحر لمزجته**". (1)

ومعنى **مزجته**: أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها.

قال الإمام النووي عن هذا الحديث :هو "من أبلغ الزواجر عن الغيبة"، لقد قالت أمنا عائشة رضي الله عنها كلمةُ حقٍ في وصف ضرتها، لكنها أرادت بها أن تقلل من شأنها، فنهاها الرسول ﷺ بشدة، وخوّفها مما لا ترى من أثر كلمتها، فإن الغيبة التي تخرج سلسةً من اللسان لا يُلقي المرءُ لها بالاً يحسبها كلمة هينة لا يؤاخذ عليها، تكون أثقل من الجبال وتمزج البحر الخضم الواسع فتغيَّر من طعمه وريحه لنتنها وقبحها.

و لا أدري كيف يطيب لنا أن نأكل من جيفة منتنة؟! ونستزيد منها... إنه وصف الله عز وجل ومن أصدق من الله قيلاً لحال الذي يغتاب قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (الحجرات: 12).

إن الكلام عن الناس والاستهزاء بهم والسخرية من أفعالهم هو فاكهة مجالسنا عموماً ومجالس النساء خاصة، وكثير من الناس إذا لمته على ذكر

---

(1) إسناده صحيح : أخرجه الترمذي برقم(2502) وأحمد برقم (25560) والبيهقي برقم (6721) والطحاوي برقم (1080) وقال الشيخ شعيب الأرنووط في المسند: إسناده صحيح.

فلان أو فلان يقول: (لم أذكر إلا حقا، وهذا النعت وتلك الصفة فيه)، أو يقول: (هو أهل للذكر السيء، وهو ظالم، ولا غيبة لفاسق ونحو هذا الكلام).

في حديث آخر يسد الرسول ﷺ كل الطرق المفضية للغيبة بأن ينهى عن الحديث عن إنسان حتى لو كانت الصفة المذمومة الواردة على لسان المغتاب حقيقية غير مفتراة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**أتدرون ما الغيبة؟**" قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "**ذكرك أخاك بما يكره**". قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: "**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**".[1]

وإني أرشد كل أخت في الله أن تتذكر النقاط التالية قبل إطلاق العنان للسانها بالحديث عن الناس:

أ) تستحضر الوصف الوارد في القرآن الكريم والسنة للمغتاب، وتستحضر منظر الجيفة المنتنة التي ستشرع في أكلها إن اغتابت.

ب) ثم تستحضر حق الناس الذين اغتابتهم ولتعلم أن كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه فإنهم يأتونها يوم القيامة يأخذون من حسناتها ويطرحون عليها من سيئاتهم فتلقى في النار.

ج) وإن كانت مؤمنة مصدقة بوعد الله ورسوله فلتذكر مصير المغتاب يوم القيامة، إنه ليعذب عذابا مضاعفاً بأن يصلى جهنم ويُعذِّب نفسه فيها، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم،**

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه مسلم برقم(2001) والبخاري في الأدب المفرد برقم (425) والبيهقي برقم(247/10) والغوي في شرح السّنة برقم(3454).

فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم". (1)

د) ثم لتمسك لسانها عن أحاديث اللهو والثرثرة ولو كانت في مباحات ولتؤثر السلامة، لأن الكلام المباح قد يغريها بالغيبة، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: **"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت".** (2)

وأخيراً فإن خير علاج للغيبة وآفات اللسان، هو إطلاق اللسان بذكر الله عز وجل فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله: فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي".** (3)

النهي عن فحش القول

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أتى النبي ﷺ أناس من اليهود، فقالوا: السامُ (يعني الموت) عليك يا أبا القاسم. قال: **"وعليكم"**. قالت عائشة: قلت: بل عليكم السام والذام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"يا عائشة لا تكوني فاحشة"**. فقلت: ما سمعت ما قالوا!! فقال: **"أو ليس قد رَدَدْتُ عليهمُ الذي قالوا، قلت: وعليكم".** (4)

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم(3570)و (6581) و(7517) ومسلم برقم(162) وأبو داود برقم (4878) وأحمد في مسنده برقم(3/224) وغيرهم.

(2) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (6018) ومسلم برقم (47) وأبو داود برقم (5154).

(3) حديث صحيح: أخرجه الترمذي برقم (2411) وقال أحمد شاكر في عمدة التفسير (168/1) حديث صحيح.

(4) إسناده صحيح: أخرجه مسلم برقم (2165) وابن ماجه برقم (3698) وغيرهما.

كان رسول الله ﷺ قرآناً يمشي على الأرض وكان خلقه القرآن، ومن الأخلاق التي يعلمها الله للناس في كتابه كيف يكون التصرف مع السفهاء "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً"، إنه التجاوز وعدم الخوض فيما يخوض الجاهلون.

إنها عفة اللسان التي ينبغي أن تحرص عليها المسلمة، وأن تحفظ لسانها عما يلوثه من الفحش، وتحتاج المسلمة لهذا الأدب النبوي في خلافاتها مع الناس، فما أجمل أن تترفع عن سفافس القول، وألفاظ السفهاء من الناس، إنها بإعراضها عنهم تزيد من غيظهم، وتفوت عليهم فرصة النجاح بتسويق بضاعتهم الرديئة.

النهي عن التباهي الكاذب

عن أسماء رضي الله عنها أن امرأة قالت: **يا رسول الله إن لي ضرةً فهل عليَّ جناح إن تَشَبَعْتُ من زوجي غير الذي يعطيني؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "المتشبع بما لم يُعطَ كلابس ثوبي زور".** (1)

الضرة: هي امرأة الزوج والجمع ضرائر و ضرات. **هل عليَّ جُناحٌ**: هل عليّ من إثم. **تشبعت**: ادعيت حصول خير لي ولم يحصل. **المتشبع**: هو الذي يظهر الشبع وليس بشبعان. **الزور**: الكذب متعمداً على الغير.

تميل المرأة للتساهل في الكذب خاصة إذا كان الأمر يتعلق بذكر عطايا وهدايا الزوج لها، وتبيان عظيم حبه واهتمامه بها، وقد تُتْبع المرأة ذلك بافتراء طائفة من أفعال زوجها وأقواله في جنونه بحبها ومآثرها عنده وعدم

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (45/7) ومسلم برقم(2131) و (2130) وغيرهما.

استغنائه عنها طرفة عين وأنه ليس عليها إلا أن تأمر فتطاع. وترتفع وتيرة ذلك الكذب والافتراء أمام من تغار من الضرائر والمعارف والجارات.

لقد نفرّ الرسول ﷺ في الحديث السالف الذكر من هذه الصفة القبيحة بأن جعل فاعلتها لابسة لثوبين من الكذب، لأنها جمعت شرّين أما الأول فهو حرمانها في حقيقة الأمر مما زعمت أنه عندها، والثاني ادعائها وجوده، إنها تصنع كما يصنع الجائع الذي يدعي الشبع والتخمة. فيجتمع فيه الجوع والكذب.

ما الذي يضير المرأة أن تعيش مُرْضِية لربها بخصلة الصدق، مطمئنة النفس، ثابتة القلب، واثقة أمام الناس بكل كلمة تقولها، لا تتطلع لغير السماء، وما يضرها أو يعيبها ألا يكون عندها متاع زائل من الدنيا تدعيه الناقصات الفارغات من النساء.

إنها دعوة لكل مسلمة أن تتوقف عن التباهي الفارغ المبني على الكذب الذي سرعان ما ينكشف، وإذا كان شعورها بالخزي مؤلم إذ ينكشف أمرها أمام مجموعة قليلة من البشر في الدنيا لا يملكون لها ضراً، فكيف سيكون حالها إذا لقيت ربها يكلمها ليس بينها وبينه ترجمان أمام جميع الخلائق وقد كُتِبَت عنده كذابة ثم اقتيدت للنار.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا".** [1]

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (6094) ومسلم برقم (2606) و(2607) وغيرهما.

النهي عن وصف ما يحدث في المخدع

من حديث مؤمل عن أبي هريرة الطويل: ... قال رسول الله ﷺ: **"هل منكم الرجل إذا أتى أهله فأغلق عليه بابه وألقى عليه ستره واستتر بستر الله؟"** قالوا: نعم. قال: " **ثم يجلس بعد ذلك فيقول فعلت كذا فعلت كذا**". قال: فسكتوا. قال فأقبل على النساء فقال: **"هل منكن من تحدث؟"** فسكتن فجاءت فتاة على إحدى ركبتيها وتطاولت لرسول الله ﷺ ليراها ويسمع كلامها فقالت: يا رسول الله إنهم ليتحدثون وإنهن ليتحدثنه فقال: **"هل تدرون ما مثل ذلك فقال إنما مثل ذلك مثل شيطانة لقيت شيطانا في السكة فقضى منها حاجته والناس ينظرون إليه"**. (1)

وقال صلى الله عليه وسلم: **"إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرَّها"**. (2)

وقد أسهبت في الحديث حول هذا الأمر في القسم الأول من الكتاب.

النهي عن لعن سائر المخلوقات

عن عمران بن الحصين رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت، فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: **"خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة"**. فقال عمران: فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد. (3)

---

(1) إسناده ضعيف: أخرجه أبو داوود برقم (2174) وقال الترمذي: حديث حسن غلا أن الطفاوي لا نعرفه إلا من هذا الحيدث ولا يعرف اسمه. وقال أبو الفضل محمد بن طاهر: والطفاوي مجهول.

(2) إسناد صحيح: أخرجه مسلم برقم(1437) وأبو داود برقم (4870) وأحمد برقم (69/3) وأبو نعيم في الحلية برقم (236/10) وغيرهم.

(3) إسناده صحيح: أخرجه مسلم برقم (2595) وأبو داود برقم (261) وغيرهما.

إن اللعن الذي تلوكه ألسنة الناس بالليل والنهار بسهولة ويسر كأن أحدهم يتنفس الهواء، كلمة كبيرة عظيمة "كبرت كلمة تخرج من أفواههم"، إن معنى اللعن الطرد من رحمة الله، وقد خاب وخسر في الدارين من طُرد من رحمة الله.

ولأنه أمر عظيم فقد شدد الرسول ﷺ نهي المؤمنين والمؤمنات عنه وفي حديث متفق على صحته جعل لعن المؤمن كقتله، وفي حديث آخر نهى عن التهاون في تداول ألفاظ غضب الله ولعنه وناره فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لا تلاعنوا بلعنة الله، ولا بغضبه، ولا بالنار"**.[1]

ويبلغ تشديد الرسول ﷺ في النهي عن اللعن الحد الذي يبينه الحديث السابق عن تلك المرأة الأنصارية التي لعنت ناقتها لصعوبة انقيادها فزجرها الرسول ﷺ بأن حرمها منها ونهى عن ركوبها، فأي خير في دابة ملعونة. إن في صنيع المصطفى ﷺ مع المرأة أشد الزجر عن اللعن حتى لعن الحيوانات والجمادات.

لقد شاع اللعن في زماننا خاصة في أوساط النساء، حتى أن معظم كلام بعض النساء مع أولادهن يكون باللعن والدعاء بالشر والسب والشتم، حتى إذا شَبَّ هؤلاء الأولاد شَبُّوا عاقين لأمهاتهم ثم تستغرب الأمهات عقوقهم، ولا أدري لم يتعجبن من صنيع أولادهن؟ وفيما الاستغراب؟ إن عقوقهم نتيجة طبيعية بعد دعاء الأمهات عليهم بالشر وسبهم وشتمهم ولعنهم فقد قلّ فيهم الخير أو انعدم وانتزعت من حياتهم البركة وحل مكانها السخط والطرد من رحمة الله.

---

(1) حديث حسن: أخرجه أبو داود برقم (4906) والترمذي برقم (1976) اختلف الأئمة في سماع الحسن من سمرة.

إنما مثل تلك الأمهات كمثل من زرع الشوك فهل ينتظر أن يجني العنب؟ بالطبع لا لن يجني إلا الجراح.

ما أجمل أن تتوب المسلمة عن لعن نفسها وأولادها وما حولها وتستبدل ذلك بالدعاء المبارك بالخير والبركة، وبالكلم الطيب فقد قال الله عن نفسه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: 10).

أقول إنها تخسر نفسها وأولادها ومالها باللعن والسب والشتم، في حين أنها تستنزل الرحمات والبركات والخيرات بكلامها الطيب ودعائها الصالح ولتقارن بين قولها لولدها (الله يطردك من رحمته) وبين قولها (الله يهديك، الله يشرح صدرك، الله يصلح أحوالك، الله ينير قلبك ودربك....).

ما أروع أن تستبدل المرأة صراخها في أولادها بالحوار اللين والكلام الرزين العقلاني، وربما تقول قائلة أن مشاغل الحياة كثيرة ولا طائل من معالجة أفهام وعناد الأطفال إلا بالشدة، وأنا بدوري أسأل تلك القائلة هل الصراخ يعني الحزم؟ وهل أجدى صراخها نفعاً في تغيير سلوك وأفهام أطفالها، وهل أجبرهم ذلك على تغيير عاداتهم السيئة.

النهي عن طلب الطلاق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة"**[1].

الطلاق أمر جليل عظيم لأنه يفصم عروة و ثقى ويقطع رباطاً مقدساً ويفك ميثاقاً غليظا بين زوجين ويهدم بيتاً ويشتت أطفالاً لا ذنب لهم لذلك فهو **"أبغض**

---

(1) حديث صحيح: أخرجه أحمد برقم(277/5) وأو داوود برقم (2226) والترمذي برقم (1189) وابن ماجه برقم (2055) والدرامي برقم (162/2) وغيرهم.

الحلال إلى الله" [1]. كما ورد في الآثار النبوية، ولأنه كلمة عظيمة يترتب عليها ما أسلفنا فينبغي أن يحذر الزوجان على حد سواء من ذكرها والتفوه بها وينبغي أن يحسبان لعواقبها ألف حساب.

يسيء كثير من الرجال استخدام صلاحية الطلاق التي منحهم الله، فتجدهم يسرفون في ربط أمور زوجاتهم وحياتهم بالتهديد بالطلاق، وكثير من الجهلة الذين لا يبالون تقع من أحدهم الطلقة تلو الطلقة فتحرم عليه زوجته ويعاشرها بالحرام وهو لا يعلم ولا يكلف نفسه حتى السؤال عن حكم الله، ويكثر الفُسَّاقُ من استخدام الطلاق كيمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي المقابل تتساهل كثير من النساء في طلب الطلاق من الزوج، كلما عنّ خلاف بينهما، وما أكثر خلافات البيوت، وما أكثر تشاحن الأزواج.

وإني أظن والله أعلم لو أن أمر الطلاق بيد المرأة وموكول إليها، لوجدنا نسبة الطلاق تقفز عشرة أضعاف مما هي عليه في مجتمعاتنا، لسهولة ذلك على ألسنتهن، ولأنهن لا يحسبن عواقب الأمور كما يحسبها الرجال، ويقودهن الغضب الأعمى فيسارعن لفك عروة الزوجية بالطلاق.

نعم هناك حالات يأذن الشرع فيها للزوجة بطلب الطلاق والخلع، وإن المرأة الصالحة التي تراقب ربها عز وجل لا تطلب ذلك إلا عند الضرورة التي يترتب على تأخيرها ضرر بالغ، ولا تصنع ذلك إلا بعد أن استنفذت كل الوسائل في إصلاح الأمر واستعانت بالعقلاء الصالحين، ولعل أهم الأسباب التي تخولها أن تطلب الطلاق دون حرج من وعيد الحديث السابق هو تفريط زوجها في دينه من تركه للصلاة ومعاقرته للخمر وفسقه وعصيانه.

---

(1) إسناده ضعيف: أخرجه أبو داود برقم (2178) وابن ماجه برقم(2018) وقد ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية(149/2) وقال: إسناده ضعيف.

ويجوز لها ذلك إذا استحالت الحياة مع زوجها، بسبب عدم قدرته على الجماع، مما يضعها في عنت كبير، أو وجود خُلقٍ سيئ عنده كضربه إياها وإيذائها، أو وجود عاهة أو مرض فيه لا تستطيع أن تصبر عليه.

الحياء لا يمنع من التفقه في الدين

جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: **يا رسول الله: ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه، تعلمنا مما علمك الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا" فاجتمعن فأتاهن فعلمهن مما علمه الله"** [1]وقالت عائشة رضي الله عنها: **"نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين"**. [2]

إن الوصية للمسلمة المعاصرة التي يتضمنها هذا الحديث وغيره مما هو قادم في هذا الباب أن تعلم أن الله لا يأمر بالحياء في الحق.

إن على المسلمة المعاصرة أن تأخذ القدوة في طلب العلم الشرعي من الصحابيات، فلم يمنع الحياء الصحابيات من التفقه في دينهن، مع أنهن الطاهرات العفيفات، ومع أنهن حُزْنَ النصيب الأكبر من الحياء، لكن تعظيمهن لأوامر الله وحرصهن على القيام بها على الوجه الذي يرضى به عنهن، وخوفهن من الوقوع في حرمات الله و نواهيه حملهن على التفقه والتعلم.

إنك لتجد مسلمة صلت دَهْرَها كله وهي تجهل بعض أحكام الطهارة والصلاة مما يبطل عملها، لأن العلم الصحيح شرط لقبول العمل.

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم(101) ومسلم برقم (2633) والترمذي برقم(122).
(2) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (314) و(7357) ومسلم برقم (332).

وغالباً ما يكون حيائهن المذموم لأنه في غير محله هو السبب في عدم سؤالهن أهل الذكر، أو أنهن يسألن نساءً جاهلات فيفتونهن بغير الصواب.

هل تحتلم المرأة؟

عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة أم المؤمنين أنها قالت: "**جاءت أم سليم امرأة أبي طلحة إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق، هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ فقال رسول الله ﷺ: "نعم إذا رأت الماء**". (1)

جاءت هذه الصحابية الجليلة تسأل في أمر الاحتلام وهو كثير الوقوع للرجال، لكنه يقع للنساء أحياناً، ويبدو أن ندرته هي التي حملتها على السؤال.

ومعنى (احتلمت) كما يقول ابن حجر العسقلاني في شرحه للحديث: الاحتلام افتعال من الحُلْم بضم الحاء وسكون اللام وهو ما يراه النائم في نومه يقال منه حلم بالفتح واحتلم والمراد به هنا أمر خاص منه وهو الجماع . وفي رواية أحمد من حديث أم سليم أنها قالت : "يا رسول الله إذا رأت المرأة أن زوجها يجامعها في المنام أتغتسل؟" ويتابع الحافظ ابن حجر تفسير قولها (إذا رأت الماء) : أي المني بعد الاستيقاظ وفي رواية الحميدي عن سفيان عن هشام "إذا رأت إحداكن الماء فلتغتسل"، وزاد " فقالت أم سلمة: وهل تحتلم المرأة؟" وكذلك روى هذه الزيادة أصحاب هشام عنه غير مالك فلم يذكرها، وفيه " أو تحتلم المرأة ؟ " وهو معطوف على مقدر يظهر من السياق أي أترى المرأة الماء .

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم(282)و (6121) ومسلم برقم(313).

وتحتلم ؟ وفيه " فغطت أم سلمة وجهها " وفي رواية " فضحكت أم سلمة " ويجمع بينهما بأنها تبسمت تعجبا وغطت وجهها حياءً ولمسلم من رواية وكيع عن هشام " فقالت لها: يا أم سليم فَضَحْتِ النساء" وكذا لأحمد من حديث أم سليم وهذا يدل على أن كتمان مثل ذلك من عادتهن، لأنه يدل على شدة شهوتهن للرجال. وقال ابن بطال: فيه دليل على أن كل النساء يحتلمن وعكسه غيره فقال: فيه دليل على أن بعض النساء لا يحتلمن والظاهر أن مراد ابن بطال الجواز لا الوقوع أي فيهن قابلية ذلك. وفيه دليل على وجوب الغسل على المرأة بالإنزال وكأن أم سليم لم تسمع حديث "الماء من الماء" أو سمعته وقام عندها ما يوهم خروج المرأة عن ذلك وهو ندور بروز الماء منها. وقد روى أحمد من حديث أم سليم في هذه القصة أن أم سلمة قالت "يا رسول الله وهل للمرأة ماء؟ فقال: هن شقائق الرجال" وروى عبد الرزاق في هذه القصة "إذا رأت إحداكن الماء كما يراه الرجل" وروى أحمد من حديث خولة بنت حكيم في نحو هذه القصة "ليس عليها غسل حتى تنزل كما ينزل الرجل" وفيه رد على من زعم أن ماء المرأة لا يبرز. وإنما يعرف إنزالها بشهوتها وحمل قوله "إذا رأت الماء" أي علمت به.[1]

وتبقى مسألة هامة تستفاد من فتوى الرسول ﷺ لهذه الصحابية، وهي أن الاغتسال يجب برؤية الماء، إما إذا احتلمت المرأة فلم تجد ماءً فلا غسل عليها، حتى لو كانت متأكدة من وقوع الاحتلام فالعبرة بالماء، ويقابل ذلك أن تجد الماء ولا تذكر الاحتلام فيجب عليها الغسل.

---

(1) فتح الباري، بتصريف.

التقاء الختانين يوجب الغسل

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"إذا جلس بن شعبها الأربع ثم جَهَدَها فقد وجب الغسل"**. (1)

وشعبها الأربع: يدا ورجلا المرأة، و جَهَدَها: كناية عن محاولة الرجل الإيلاج والدخول بامرأته.

عن سعيد بن المسيب أنا أبا موسى الأشعري رضي الله عنه قال لعائشة رضي الله عنها: "إني أريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحي منك، فقالت: سل ولا تستحي فإنما أنا أمك، فسألها عن الرجل يغشى ولا يُنْزِل، فقالت عن النبي صلى الله عليه وسلم: **"إذا أصاب الختان فقد وجب الغسل."** (2)

و المقصود بالحديثين السابقين، أنه إذا وقع ولوج ولو لجزء من عضو الرجل في الفرج فقد وجب الغسل عليه وعلى زوجته حتى لو لم ينزل المني.

و المقصود بمس الختان محاولة الإيلاج لا المس، لأن مجرد تماس عضو الرجل بعضو المرأة من غير إيلاج فلا يوجب الغسل على واحد منهما. (3)

هل تنقض المرأة ضفيرتها عند الاغتسال؟

عن أم سلمة رضي الله عنها أن امرأة قالت: يا رسول الله إني امرأة أشد ضفر رأسي، أفأنقضه للجنابة؟ قال: **"إنما يكفيك أن تحثي عليه ثلاث حثيات من ماء ثم تفيضي على سائر جسدك، فإذا أنت قد طهرت"**. (4)

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه مسلم برقم(348) والبخاري برقم(291) والنسائي(110/1).
(2) حديث صحيح: أخرجه أحمد برقم(24655) وهذا إسنادٌ ضعيف: فيه علي بن يزيد- وهو ابن جدعان- فهو ضعيف.
(3) فقه السنة – سيد سابق.
(4) إسناده صحيح: أخرجه مسلم برقم(330) وأبو داود برقم(251) وغيرهم.

وعن عبيد بن عمير رضي الله عنه قال: " بلغ عائشة رضي الله عنها أن عبدالله بن عمر يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن، فقالت: يا عجباً لابن عمر، يأمر النساء إذا اغتسلن بنقض رؤوسهن، أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن!؟ لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد وما أزيد على أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات". (1)

يتضح من الحديثين السابقين، كيف رفع الله الحرج عن المرأة المسلمة في اغتسالها سواء من جنابة أو حيض بأنها غير مضطرة لفك ضفيرتها، بل يكفيها أن يصل الماء لأصول شعر الرأس وأن تدلك رأسها دلكاً شديدا حتى تطمأن لوصول الماء.

مسائل في الحيض

إذا حاضت المرأة في الحج

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "خرجنا لا نرى إلا الحج فلما كنا بسرف حضت فدخل علي رسول الله ﷺ وأنا أبكي قال: **ما لك أنفست**. قلت: نعم. قال: "**إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم فاقضي ما يقضي الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت**". قالت: وضحى رسول الله ﷺ عن نسائه بالبقر". (2)

ومن رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه التي رواها مسلم في صحيحه عن وصفه لحج الرسول ﷺ قال: "... فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة، فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف أصنع؟ قال: "**اغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي**".

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه مسلم برقم(331) والنسائي برقم (203/1) وابن ماجه برقم (604).
(2) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (5559) ومسلم برقم (1211) و(1212) وغيرهما.

و الاستثفار هو اتخاذ كل الاحتياطات اللازمة لمنع سيلان الدم.

وهكذا فإن الحائض والنفساء تتم أعمال الحج غير أنها لا تطوف بالبيت.

قراءة القرآن في حجر الحائض

عن عائشة رضي الله عنها: "**أن النبي ﷺ كان يتكئ في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن**". [1]

قال ابن دقيق العيد: في هذا الفعل إشارة إلى أن الحائض لا تقرأ القرآن، لأن قراءتها لو كانت جائزة لما توهم امتناع القراءة في حجرها حتى احتيج إلى التنصيص عليها، وفيه جواز ملامسة الحائض وأن ذاتها وثيابها على الطهارة ما لم يلحق شيئا منها نجاسة، وهذا مبني على منع القراءة في المواضع المستقذرة، وفيه جواز القراءة بقرب محل النجاسة، قاله النووي: وفيه جواز استناد المريض في صلاته إلى الحائض إذا كانت أثوابها طاهرة، قاله القرطبي.

علاقة الرجل بامرأته في حيضها

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "**كنت أشرب وأنا حائض، فأناوله النبي صلى الله عليه وسلم، فيضع فاه على موضع في**". [2] والمراد أنه ﷺ كان يشرب من نفس موضع فم عائشة على الكوب الذي شربت منه.

وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت: "**كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد كلانا جنب، وكان يأمرني فئأتزر فيباشرني وأنا حائض، وكان يخرج رأسه إلي وهو معتكف فأغسله وأنا حائض**". [3]

---

(1) اسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (297)و(7549) وأحمد برقم(117/6) وغيرهما.
(2) اسناده صحيح: أخرجه مسلم برقم(300) وأبو داود برقم(259) وابن ماجه برقم (643).
(3) اسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (299) ومسلم برقم (321) والزيادة لمسلم.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: **"بينا أنا مع النبي ﷺ مضطجعة في خميصة إذ حضت فانسللت فأخذت ثياب حيضتي. قال: أنفست. قلت نعم فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة".** (1)

تمر الحائض بآلام جسدية وشعور بالكآبة، خاصة في الأيام الأولى من دورتها الشهرية، وهذا أمر معروف في النساء لا يستطعن له دفعاً، لكن مما يضاعف هذه الآلام هو إحساس يلازم المرأة المسلمة بأنها نجسة أثناء حيضها، فتجدها في أشد حالات انطوائها وتحفظها عن مخالطة الناس وحتى الاتصال بالجمادات، حتى أن بعضهن يمتنعن عن ذكر الله عز وجل مع أنه السبب لطمأنينة القلب وذهاب الشيطان والقلق، بحجة أنه لا يليق بنجسة ملوثة أن تسبّح أو تستغفر، ولا شك بأن فعلها هذا من أشد الخطأ.

على المرأة المسلمة أن تطلق لسانها بذكر الله تعالى وهي حائض فهو سبيل الطمأنينة، وعليها ألا تزيد من ضيقها وحرجها النفسي وهي تمر بفترة الحيض بشعورها الملازم لها بالنجاسة، ولتوقن أن المؤمن والمؤمنة لا ينجسان حتى لو جنبا، والنجاسة في الحائض منحصرة بالدم الخارج منها ومكانه، وجسدها طاهر، وكونها تمتنع عن الصلاة والصيام ودخول المساجد والطواف، فإن ذلك لا يعني البتة أنها نجسة بسبب هذا الحيض، بل هي مؤمنة طاهرة يحبها الله، ويأجرها على ما تجد وتكابد بسبب الحيض، ثم إن امتناعها عن بعض العبادات في الحيض لا يعني أنها منقطعة الأجر فإنها في عبودية لله عز وجل في سائر أعمالها من ذكر ودعوة وصدقة وإحسان ورعاية للزوج والولد ومن حولها.

ويقع الدور الأكبر على من هم حول الحائض من أهل أو زوج بأن يخففوا عنها الشعور بالكآبة والضيق وقد ضرب لكم نبيكم محمد ﷺ أروع الأمثلة

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (298) ومسلم برقم (296) وغيرهما.

في الإحسان للحائض والتخفيف عنها والأحاديث السالفة لا تحتاج إلى تعليق منا على كمال أخلاق نبينا عليه وعلى آل بيته وأزواجه وأصحابه أفضل الصلاة والسلام.

ينبغي أن تتسم علاقة المسلم بزوجته الحائض بالحرص على المخالطة والمودة والحب والإكرام، وإشعارها بأنها في وضع طبيعي، وأجد والله أعلم أن تمتع الرسول ﷺ بنسائه وهنّ حُيّض يهدف في جزء منه إلى تكريم الحائض وإشعارها بأهميتها، ومخالفة لليهود عليهم لعائن الله تترى في اعتزالهم للحائض فلا تئاكلهم ولا تشاربهم ولا تجلس معهم، مع أن نفوسهم الخبيثة أنجس وأعظم كدراً من دماء الحائض.

كيفية التطهر من الحيض

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "**أن امرأة سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض. فأمرها كيف تغتسل قال: خذي فرصة من مسك فتطهري بها. قالت: كيف أتطهر؟ قال: تطهري بها. قالت: كيف؟ قال: سبحان الله تطهري، فاجتبذتها إلي فقلت: تتبعي بها أثر الدم**".[1]

وفي رواية أخرى عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أن امرأة من الأنصار قالت للنبي ﷺ كيف أغتسل من المحيض؟ قال خذي فرصة ممسكّة فتوضئي ثلاثا، ثم إن النبي ﷺ استحيا فأعرض بوجهه، أو قال توضئي بها فأخذتها فجذبتها فأخبرتها بما يريد النبي صلى الله عليه وسلم".[2]

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (314) ومسلم برقم(332) وغيرهما.
(2) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (315) ومسلم برقم (322) وغيرهما.

والفرصة الممسكة: قطعة من صوف أو قطن عليها مسك أو طيب لدفع الرائحة الكريهة وذلك مستحب لكل مغتسلة من حيض أو نفاس، ويكره تركه للقادرة.

الاستحاضة

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قالت فاطمة بنت أبي حبيش لرسولﷺ: "يا رسول الله إني لا أطهر أفأدع الصلاة؟ فقال رسول ﷺ: "**إنما ذلك عرق وليس بالحيضة، فإذا أقبلت الحيضة فاتركي الصلاة فإذا ذهب قدرها فاغسلي عنك الدم وصلي**". [1]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "**اعتكفت مع رسول الله ﷺ امرأة من أزواجه فكانت ترى الدم والصفرة والطست تحتها وهي تصلي**". [2]

لأن المرأة المسلمة تحتاج لفهم أحكام الاستحاضة حتى تصح عبادتها فقد عمدت في الفقرات التالية إلى النقل بتصرف يسير مع بعض الشرح اليسير – بين قوسين - عن كتاب (فقه السنة لسيد سابق(85/82/1) حول هذا الموضوع... يقول سيد سابق رحمه الله:

تعريف الاستحاضة: استمرار نزول الدم وجريانه عند المرأة في غير أوانه.

والمستحاضة لها ثلاث حالات:

أ) أن تكون مدة الحيض معروفة لها قبل الاستحاضة، وفي هذه الحالة تعتبر هذه المدة المعروفة هي مدة الحيض، والباقي استحاضة، لحديث أم

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم(228) ومسلم برقم (262) وغيرهما.
(2) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (310) أبو داود برقم(2476) وغيرهما.

سلمة: أنها استفتت النبي ﷺ في امرأة تهراق الدم فقال: **"لتنظر قَدْرَ الليالي والأيام التي كانت تحيضهن وقَدْرُهُنَّ من الشهر، فتدع الصلاة، ثم لتغتسل ولتستثفر ثم تصلي"**. (رواه مالك والشافعي والخمسة إلا الترمذي). قال الخطابي: هذا حكم المرأة يكون لها من الشهر أيام معلومة تحيضها في أيام الصحة قبل حدوث العلة (يقصد الاستحاضة) ثم تستحاض فتهريق الدم، ويستمر بها السيلان أمرها النبي ﷺ أن تدع الصلاة من الشهر قدر الأيام التي كانت تحيض، قبل أن يصيبها ما أصابها، فإذا استوفت عدد تلك الأيام، اغتسلت مرة واحدة، وحكمها حكم الطواهر.

ب) أن يستمر بها الدم ولم يكن لها أيام معروفة، إما لأنها نسيت عادتها، أو بلغت مستحاضة، ولا تستطيع تمييز دم الحيض. (أو لاضطراب موعد وأيام دورتها الشهرية) وفي هذه الحالة يكون حيضها ستة أيام أو سبعة، على غالب عادة النساء، لحديث حمنة بنت جحش قالت: كنت أستحاض حيضة كثيرة شديدة فأتيت النبي ﷺ أستفتيه وأخبره فوجدته في بيت أختي زينب بنت جحش فقلت يا رسول الله إني أستحاض حيضة كثيرة شديدة فما تأمرني فيها قد منعتني الصيام والصلاة قال: أنعت لك (أصف لك) الكرسف (القطن) فإنه يذهب الدم قالت هو أكثر من ذلك قال فتلجمي (أي شد خرقة أو حفاظة لمنع سيلان الدم) قالت: إنما أثج ثجا (هو شدة السيلان) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **سآمرك بأمرين أيهما صنعت أجزأ عنك فإن قويت عليهما فأنت أعلم فقال إنما هذه ركضة من الشيطان فتحيضي ستة أيام أو سبعة أيام في علم الله ثم اغتسلي فإذا رأيت أنك قد طهرت واستنقأت من النقاء فصلي أربعا**

وعشرين ليلة أو ثلاثا وعشرين ليلة وأيامها وصومي وصلي فإن ذلك يجزئك وكذلك فافعلي كما تحيض النساء وكما يطهرن لميقات حيضهن وطهرهن فإن قويت على أن تؤخري الظهر وتعجلي العصر ثم تغتسلين حين تطهرين وتصلين الظهر والعصر جميعا ثم تؤخرين المغرب وتعجلين العشاء ثم تغتسلين وتجمعين بين الصلاتين فافعلي وتغتسلين مع الصبح وتصلين وكذلك فافعلي وصومي إن قويت على ذلك **فقال رسول الله ﷺ وهو أعجب الأمرين إلي".** [1] (أي أحبها إليَّ) وهو والإغتسال لكل صلاتين .

قال الخطابي تعليقاً على الحديث: إنما هي امرأة مبتدأة لم يتقدم لها أيام، ولا هي مميزة لدمها، وقد استمر بها الدم حتى غلبها، فرد رسول الله أمرها إلى العرف الظاهر والأمر الغالب من أحوال النساء، كما حمل أمرها في تحيِّضها كل شهر مرة واحدة على الغالب من عادتهن، ويدل على هذا قوله: "كما تحيض النساء ويطهرن بميقات حيضهن وطهرهن" قال: وهذا أصل في قياس أمر النساء بعضهن على بعض، في باب الحيض والحمل والبلوغ، وما أشبه هذا من أمورهن.

ج) أن لا تكون لها عادة، ولكنها تستطيع تمييز دم الحيض عن غيره، وفي هذه الحالة تعمل بالتمييز، لحديث فاطمة بنت أبي حبيش: أنها كانت تستحاض، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: **"إذا كان دم الحيض فإنه أسود يعرف، فإذا كان كذلك فأمسكي عن الصلاة، فإذا كان الآخر فتوضئي وصلي فإنما هو عرق".**

---

(1) حديث حسن: أخرجه احمد برقم (27144) وأبو داود برقم (287) والترمذي برقم (128) وهنا إسناد ضعيف فيه: عبد الله بن محمد بن عقيل، فهو ضعيف يعتبر به في المتابعات، ولم يتابع هنا، كما قال الحافظ في التلخيص(2/ 108) وفي سنده ايضا: شريك بن عبد الله – وهو النخعي- وإن كان ضعيفا قد توبع، ومع ذلك فقد حسنه الألباني في الإرواء (205) .

أحكام تتصل بالاستحاضة :

أ) أنه لا يجب عليها الغسل لشيء من الصلاة ولا في وقت من الأوقات إلا مرة واحدة، حينما ينقطع حيضها وبهذا قال الجمهور من السلف والخلف.

ب) أنه يجب عليها الوضوء لكل صلاة لقوله في رواية البخاري "**ثم توضئي لكل صلاة**"، وعند مالك يستحب لها الوضوء لكل صلاة، ولا يجب إلا بحدث آخر.

ج) أن تغسل فرجها قبل الوضوء وتحشوه بخرقة أو قطنة دفعاً للنجاسة، وتقليلاً لها، فإن لم يندفع الدم بذلك شدت مع ذلك على فرجها و تلجمت واستثفرت (التلجم والاستثفار هو كل ما من شأنه منع الدم من السيلان وينطبق في زماننا على وضع الحفاظات النسائية)، ولا يجب هذا، وإنما هو الأولى.

د) ألا تتوضأ قبل دخول وقت الصلاة عند الجمهور إذ طهارتها ضرورية، فليس لها تقديمها قبل وقت الحاجة.

هـ) أنه يجوز لزوجها أن يطأها في حال جريان الدم، عند جماهير العلماء لأنه لم يرد دليل تحريم جماعها. قال ابن عباس: المستحاضة يأتيها زوجها. إذا صلت فالصلاة أعظم، رواه البخاري يعني إذا جاز لها أن تصلي ودمها جار، وهي أعظم ما يشترط لها الطهارة، جاز جماعها. وعن عكرمة بنت حمنة، أنها كانت مستحاضة وكان زوجها يجامعها. (رواه أبو داود والبيهقي) وقال النووي: إسناده حسن.

و) أن لها حكم الطاهرات: فتصلي وتصوم وتعتكف وتقرأ القرآن وتمس المصحف وتحمله وتفعل كل العبادات، وهذا مجمع عليه، فدم الحيض

دم فاسد أما دم الاستحاضة فهو دم طبيعي، لذا منعت في العبادات في الأول دون الثاني.[1]

تحريم سفر المرأة وحدها

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: "**لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم**". فقال له رجل: يا رسول الله، إن امرأتي خرجت حاجَّة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا؟ قال: "**انطلق فحج مع امرأتك**".[2]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها**".[3]

يحرم على المرأة أن تسافر مع غير محرم أو زوج، وقال الجمهور من الفقهاء: تمنع من كل ما يسمى سفراً طويلاً أو قصيراً، وقال الحنفية: تمنع من السفر الطويل الذي يجوز أن تقصر فيه الصلاة، أما السفر للحج والعمرة المفروضين فلا حرمة عليها أن تسافر من غير محرم إن أمنت على نفسها عند الشافعية، وقال الحنفية وأحمد: لا يجوز لها ذلك، لقوله صلى الله عليه وسلم: "**لا تحجن امرأة إلا ومعها ذو محرم**" (رواه الدار قطني). وقال الجمهور: بعدم وجوب الخروج على الزوج أو المحرم مع من أرادت الحج من النساء، وقال الإمام

---

(1) فقه السنة (1 / 82 – 85).
(2) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم(5233) ومسلم برقم(1341) وغيرهما.
(3) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم(1088) ومسلم برقم (1339) وأبو داود برقم (1724) والترمذي برقم (1170)

أحمد: يجب على الزوج أو المحرم السفر مع المرأة إذا لم يكن لها غيره). **(شرح رياض الصالحين – آخر الجزء الأول – شرح باب تحريم سفر المرأة وحدها).**

بشرى لمن مات لها أولاد

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، قال: "اجتمعن يوم كذا وكذا". فاجتمعن، فأتاهن النبي ﷺ فعلمهن مما علمه الله، ثم قال: **"ما منكن من امرأة تقدّم ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجاباً من النار"**. فقالت امرأة: واثنين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"واثنين"**. (1)

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ما من مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم"**. (2)

لم يبلغوا الحنث: أي الذنب، عبر به عن البلوغ لأنه سببه ، ومعنى رحمته إياهم: لعظم شفقته عليهم ورحمته بهم فإن الله يرحمه ويدخله الجنة بفضل رحمة الله لهؤلاء الصغار.

ولكن الأمر يحتاج للصبر والاحتساب فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلت إحدى بنات النبي ﷺ تدعوه وتخبره أن صبياً لها في الموت فقال للرسول (الذي بلغ الرسالة للنبي من ابنته) : **"ارجع إليها فأخبرها أن لله تعالى**

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم(101) ومسلم برقم(2633) وغيرهما.
(2) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم(1248)و(1381) والنسائي في المجتبى برقم(1873).

ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب". [1]

الصبر عن الصدمة

و الصبر والاحتساب عند حدوث وفاة الولد أو الوالد أو الزوج أو العزيز شرط لنيل الأجر والثواب، فإن ابتلاء الله للمرأة بفقد عزيز فيه أجور عظيمة، لكن هذه الأجور لا تترتب إلا بالصبر ولا تظهر القدرة على الصبر إلا عند الصدمة الأولى.

عن أنس رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ على امرأة تبكي عند قبر (وفي رواية تبكي على صبي لها) فقال: **"اتقي الله واصبري"** فقالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه، (أي لم تعرف أن محدثها هو النبي)، فقيل لها: إنه النبي ﷺ فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك. فقال: **"إنما الصبر عند الصدمة الأولى"**. [2]

و الظاهر من فهم الحديث أن بكاء المرأة كان نواحاً وهو المنهي عنه، لأنه لا نهي عن البكاء الذي لا صوت ولا صراخ ولا تسخط فيه على قدر الله، ومعروف أن رسول الله ﷺ بكى ودمعت عيناه وحزن قلبه على فقد أحبة له.

فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم رضي الله عنه وهو يجود بنفسه (يموت)، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان. فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: **"يا بن عوف، إنها رحمة"** ثم أتبعها

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم(1284) و (5655) و (6602) ومسلم برقم(923).
(2) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (1283) ومسلم برقم (926) وغيرهما.

بأخرى. فقال: "**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، و إنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون**". [1]

تحريم النياحة و التسخط على القدر

عن أم عطية نسيبة رضي الله عنها قالت: "**أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة ألا ننوح**". [2] وعن أسيد بن أبي أسيد التابعي عن امرأة من المبايعات، قالت: كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ في المعروف الذي أخذ علينا ألا نعصيه فيه: **ألا نخمش وجهاً، ولا ندعو ويلاً، ولا نشق جيباً، وأن لا ننشر شعراً**". [3]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**". [4]

أما النياحة فهي البكاء مع ارتفاع الصوت المقترن بذكر صفات الميت والألم بفقده (كالقول يا جملي ويا سندي ويا ظهري أو واه جبلاه ومن لنا بعدك يا فلان)، ويصل الأمر لحد القول (لماذا أنا؟ ماذا فعلت في دنياي حتى ابتلى بهذا؟ ولماذا لم يمت العجوز ومات هذا الشاب؟) وغير ذلك من كفر اللسان و التسخط على قدر الله العظيم الحكيم.

وللتنفير من النياحة وقبحها فإن الله يعذب الميت بنواح أهله عليه فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**الميت يُعذّب**

(1) اسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (1303) ومسلم برقم (1303) ومسلم برقم (2315) وغيرهما.
(2) اسناده صحيح: أخرجه برقم (1306) و(4892) ومسلم برقم (936).
(3) إسناده حسن: أخجه أبو داود برقم (3131) وغيره.
(4) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم(1294) ومسلم برقم (103) وغيرهما.

بما نيح عليه". [1] وقد يقول قائل (وما ذنب الميت؟) فرد العلماء على ذلك بأجوبة وجيهة منها: أن العذاب إنما ينال الميت الذي أوصى بالنواح عليه ولو بالإيحاء لأهله أو السكوت والرضا عند ذكر أهله وهو في مرض الموت شدة جزعهم، وعقدهم العزيمة على النوح عليه إذا مات.

وقال آخرون: الميت الذي لم يوصي بعدم النواح يعذب إذا نيح عليه، لأن الأصل أن يوصي بمنع هذا المنكر الشائع والأكيد الحصول إلا أن يوصى بعكسه، لأن النساء اعتدن النواح على الأموات، فإذا بلغ الناس وصيته بعدم النواح فإنهم يحترمون وصيته.

و قال بعض أهل العلم: المراد بعذاب الميت ببكاء ونواح أهله، أنه يتألم رقة وشفقة عليهم حين يسمع بكاءهم ونواحهم.

ولقد توعد الله عز وجل على لسان رسوله ﷺ بعذاب شديد له صفة مخصوصة للنائحات يوم القيامة فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب".** [2]

النهي عن اللطم وشق الثياب ونتف الشعر ونشره

والمعاصي الأخرى المرتبطة بالنوح من لطم وضرب للخدود، وشق للجيوب (يعني الأثواب خاصة ما يغطي النحر)، ونشر الشعور بنثرها ونفشها ونتفها وحلقها كلها من معاصي الجوارح التي لا تقل شراً عن النواح، وإن فاعلتها،

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (1292) ومسلم برقم (927) و (930).

(2) إسناده صحيح: أخرجه مسلم برقم (934) وأحمد برقم (342/5) والحاكم برقم (383/1) والبيهقي في السنن برقم (63/4) وغيرهم.

ينتفي عنها الصبر الذي يترتب عليه الأجر، بل يكون عليها الوزر والإثم، وبَرِأَ منها رسول الله ﷺ فعن أبي بردة قال: وجع أبو موسى الأشعري فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله، فأقبلت تصيح برنَّة، فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً. فلما أفاق قال: أنا بريء ممن برىء منه رسول الله: **إن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة (التي ترفع صوتها بالنياحة والندب) والحالقة (التي تحلق رأسها)، والشاقة (التي تشق ثوبها)**.". [1]

وهكذا فقد استعرضنا خطورة الأفعال التي تقوم بها النساء لدى موت عزيز، فهي أعمال من الجاهلية برئ الرسول ﷺ منها، وهي تعبير عن الكفر بقضاء الله وعدم الرضا بقدره حلوه ومره، وانتفاء للتسليم لله وحكمته.

وهي معاصٍ يترتب عليها الوزر والعقاب، والطامة أن الميت لا يستفيد منها البتة، بل يعذب بها ويكون أكثر ألماً، وتزداد شدته ووحشته في عالم البرزخ، مع أنه أشد ما يكون حاجة لما يؤنسه من الدعاء له بالرحمة والصلاة عليه، والصدقة عنه وغير ذلك من أعمال البر التي تصل للميت.

كراهة اتباع النساء للجنائز

عن أم عطية رضي الله عنها قالت: "نهينا عن اتباع الجنائز ولم يُعْزَم علينا". [2]

لم يعزم علينا: أي لم يشدد في النهي كما يشدد في المحرمات.

(1) اسناده صحيح: أخرجه البخاري تعليقا برقم (1296) ومسلم برقم (104) وغيرهما.
(2) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (1278) ومسلم برقم (938) وأبو داود برقم (3167) وغيرهم.

ماذا تقول المرأة عند المصيبة

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم اؤجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها، إلا أجره الله تعالى في مصيبته وأخلف له خيراً منها**" قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ، فأخلف الله لي خيراً منه: "رسول الله صلى الله عليه وسلم". (1)

اؤجرني: أي أعطني الأجر، واخلف لي: عوضني خيراً منها، أجره: أي أثابه.

إحداد المرأة على الأموات

عن زينب بنت أبي سلمة رضي الله عنهما قالت: دخلت على أم حبيبة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه، فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره، فدهنت منه جارية، ثم مست بعارضيها، ثم قالت: "**والله مالي بالطيب من حاجة، غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحَدَّ على ميت فوق ثلاث ليال، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً**". (2)

و الإحداد هو ترك ما تتزين به المرأة من الحلي والكحل والحرير والطيب والخضاب (الحناء) وصبغ الشعر وسائر الزينة، والمكث في البيت، وعدم الخروج منه إلا للضرورة، ولبس السواد ليس من الإحداد بل هو من عادات النصارى.

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه مسلم برقم (918) والترمذي برقم (3511) وغيرهما.
(2) إسناده صحيح: أخرجه مسلم برقم (1491) وابن ماجه برقم (2085) وغيرهما.

تحريم سؤال العراف والكاهن

عن صفية بنت أبي عبيد رضي الله عنها عن بعض أزواج النبي ﷺ ورضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: **"من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدّقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً"**.[1] وفي رواية: **"من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد"**.[2]

العرّاف هو الذي يدعي معرفة مكان المسروقات، ويشمل ذلك أفعال الكهانة. والنهي يشمل التعامل مع هذه الفئة الضالة بكل شرائحها، وإن تصديق هؤلاء يبطل ثواب العمل، بل هو نوع من الشرك لأنه إيمان بأنهم يملكون ضراً أو نفعاً من دون الله، واقتناع بأنهم يعلمون بعض الغيب الذي اختص الله به نفسه.

ويشمل النهي كل أضراب ذلك في زماننا من قراءة الأبراج والودع والكف والفنجان، وأشده إتيان السحرة والمشعوذين لعمل التمائم والاحجبة وغير ذلك من أعمال الكفر والشرك والإضرار بالناس.

تحريم التماثيل والتصاوير

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت سهْوةً لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه وتلوّن وجهه، وقال: **"يا عائشة، أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله"**.[3]

---

(1) اسناده صحيح: أخرجه مسلم برقم (2230) والبغوي في شرح السنة برقم (128/12).

(2) حديث حسن: أخرجه أحمد برقم (9236) والحاكم برقم (8/1) ورجاله ثقات رجال الصحيح، لكن خلاس- وهو ابن عمرو الهجري- لم يسمع من أبي هريرة.

(3) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (5954) و(6109) ومسلم كتاب الباس (92) والنسائي في المجتبى برقم (214/8) وغيرهم.

السهوة: كأنها فتحة أشبه بباب أو نافذة، **والقرام:** ستر رقيق كأنه ستارة، **والتماثيل:** هي الصور وهي تطلق على المنحوت من صور الأحياء والمرسوم على اللوحات، يضاهون بخلق الله: أي يشبهون ما يصنعونه بما يصنعه الله.

انتشرت في بيوت المسلمات هذه الأيام الصور المنهي عنها بأنواعها من تماثيل (لها ظل) منحوتة لبشر أو طير أو حيوان، ومن لوحات جدارية عليها صور الزعماء أو أفراد العائلة أو المخلوقات التي فيها الروح كالخيول والطيور ونحوها. إن الغضب الشديد لرسول الله ﷺ لدى رؤيته صوراً على ستارة في بيت النبوة، وتمزيقه تلك الستارة، ليؤكد تغليظه تحريم ذلك الأمر خاصة وأنه يعلم أن ملائكة الرحمن لا تدخل البيوت التي فيها مثل هذه التصاوير.

فينبغي على كل مسلمة صالحة أن ينفر طبعها من تلك الصور، وأن تخرجها من بيتها لتأذن لملائكة الرحمن بالدخول، فإن بيتها بحاجة أن تغشاه الرحمة وتتنزل عليه البركة بحف الملائكة له.

و عليها أن تنتقي في هداياها لأقاربها وجيرانها ما ليس فيه صور حتى لا تسبب لهم الأذى والإثم.

طول ثوب المرأة وحكم تنجسه

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: **"من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة" فقالت أم سلمة: فكيف تصنع النساء بذيولهن؟ قال: "يرخين شبراً". قالت: إذا تنكشف أقدامهن. قال: "فيرخينه ذراعاً لا يزدن".** [1]

(1) إسناده صحيح: أخرجه أبو داود برقم (4117) ومالك في الموطأ برقم(1700) وغيرهما.

الحديث في الإذن للنساء في إطالة أثوابهن قدر ذراع من أذيالهن إلى الأرض من أجل ستر ظهور أقدامهن.

لكن السؤال ما هو حكم ثوب المرأة الذي يجر على الأرض فتناله بعض النجاسات في الأسواق والطرقات، لقد سألت امرأة أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: إني أطيل ذيلي وأمشي في المكان القذر؟ فقالت لها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يطهره ما بعده**".[1] يعني يطهره التراب الذي بعده.

الرسول يضع قواعد لحفظ البيوت ووقايتها

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "**لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون**".[2]

وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "**غطوا الإناء، وأوكئوا السقاء، وأغلقوا الأبواب، وأطفئوا السراج، فإن الشيطان لا يحل سقاءً، ولا يفتح باباً، ولا يكشف إناءً، فإن لم يجد أحدكم إلا أن يَعْرُضَ على إنائه عوداً، ويذكر اسم الله فليفعل: فإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم**".[3]

وتغطية الإناء يقصد بها كل إناء طعام، والسقاء: وعاء للماء أو اللبن مصنوع من جلد واللفظ يعم كل ما يوضع فيه ماء أو موائع أخرى كالزيت والعسل وغيرهما، ووكأ السقاء: أي ربطه، ومن معاني الربط كذلك تغطية كل وعاء للماء. والفويسقة: هي الفأرة، وتضرم: أي تشعل.

---

(1) حديث صحيح: أخرجه أبو داود برقم (379) والترمذي برقم (143) وابن ماجه برقم (531) وغيرهم.
(2) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (6293) ومسلم برقم (3015) وغيرهما.
(3) إسناده صحيح: أخرجه مسلم برقم (2012) و(2014) وأبو داود برقم (3732) والترمذي برقم(1812) وابن ماجه برقم (3410) وغيرهم.

في الحديثين السابقين قواعد للسلامة من حوادث الاحتراق والسرقة وقواعد للوقاية من عبث الشياطين والهوام والحشرات والجراثيم، ويمكن أن نبين هذه القواعد من خلال وصايا محددة:

التبرك باسم الله عند كل عمل

التسمية عند وضع الأشياء ورفعها واستعمالها، وعند صب الماء وطهو الطعام وتقديمه، إن من شأن ذلك أن يصرف حضور الشياطين، وأن يجلب البركة والخير على البيوت وإن هذا السلوك من الأبوين والكبار كفيل بأن يغرس في الأطفال الإيمان بالله والثقة به والتوكل عليه وأن يورث قلوبهم التصديق الجازم بحقائق الغيب.

إطفاء النار والسراج قبل النوم

عدم ترك نار مشتعلة عند النوم أو الخروج من البيت أو الانشغال عنها، سواءً كانت للاستضاءة أو التدفئة وكما أن هذا ينطبق على الوسائل القديمة للتدفئة والاستضاءة فهو ينطبق على الحديث من هذه الوسائل كموقد الغاز أو مدفأة الغاز أو الكيروسين. إن استعراضنا لحوادث الاحتراق والاختناق المنزلية يدل أن معظمها يحدث وأهل البيوت نيام مما يؤكد أهمية الالتزام بهذا الهدي النبوي.

إغلاق الأبواب

إغلاق الأبواب الخارجية منعاً للصوص والفسقة من دخولها، فالأبواب الخارجية المفتوحة تطمعهم في اقتحام البيوت، وأما أبواب الغرف الداخلية، فحتى لا يدخل من لا يجب أن يطلع على عورات النائم إذا تكشفت، وبهذا تهدأ نفس النائم.

تغطية أوعية الطعام وآنية الشراب

تغطية أوعية الطعام وآنية الشراب، حفظاً لها من الشياطين والهوام والحشرات والجراثيم. وإن لم يجد المرء أغطيتها المحكمة فليغطها بما تيسر ولو كان عودا من خشب أو نحوه مع ذكر اسم الله فإن الله هو الحافظ وليس الأغطية.

إن قارئ الأحاديث السابقة ليعجب من حرص الرسول ﷺ على أمته حتى أنه يعلمها دقائق الأمور التي تصلح دنياها، إنه كما وصفه ربه عز وجل: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: 128).

ثواب أعمال الطفل تعود لأبويه

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لقي ركباً بالروحاء فقال: "من القوم؟" قالوا: المسلمون. فقالوا: من أنت؟ قال: "رسول الله"، فرفعت إليه امرأة صبياً فقالت: ألهذا حجٌّ؟ قال: "نعم، ولك أجر". [1]

الروحاء: مكان قرب المدينة.

يستفاد من الحديث أن المرأة إذا كانت سبباً في طاعة أو أعانت عليها لها من الأجر كما لو أنها قامت بها. فهي إذا حجَّت وأخذت أطفالها الذين لم يبلغوا الحلم معها، لأنها لا تستطيع تركهم فإن لها ولزوجها أجر حجِّهم، والأطفال كذلك يؤجرون على ذلك لكن لا تسقط عنهم حجة الإسلام لأن البلوغ شرط للحج، وأُحسِنُ الظن بالله عز وجل فأقول أن ما ينطبق على حج الصغار ينطبق على سائر الأعمال الصالحة فلو علَّمت المسلمة طفلها الوضوء والصلاة، ولو جلست تحفِّظُه من كتاب الله أو تعلمه التسبيح والتهليل و التحميد فإن لها الأجر في ذلك، بل إن ثواب أعماله حتى يموت تكتب لها بإذن الله، وكم يزيد هذا الأمر من حبنا لله الذي وسعت رحمته كل شيء، وبلغت نعمته كل حي. ونفهم من ذلك معنى اسم من أسماءه الحسنى وهو الشكور بمعنى أنه يشكر عباده على أفعالهم القليلة بالجزاء والثواب العظيم، فلله تعالى الحمد والمنة والفضل.

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه مسلم برقم (1336) والنسائي برقم (121/5) وأبو داود برقم (1736) وابن ماجه برقم(2910) وأحمد برقم (219/1) والبيهقي برقم (155/5).

كيف تصير الزوجة من المرحومين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "**رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح رشَّ ماءً خفيفاً في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء**". (1)

ما أجمل أن تصل العلاقة بين الزوجين إلى هذه القمة السامقة وهذا الأفق المضيء بالنور، إن وصول الزوجين لتحقيق هذه الوصية النبوية (اللهم نسألك أن ترزقنا إياها) يعني أن الدنيا بالنسبة إليهما ليست هي نهاية المطاف وأنهما يخططان للوصول لمراتب عليا في الدار الآخرة، إن زواجهما سيكون بذلك سرمديا حتى يلقيا ربهما وهو عنهما راضٍ فيأخذا بيد بعضهما بعضاً ليدخلا دار السلام.

الاقتصاد في الطاعة

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة. قال: من هذه؟ قالت: هذه فلانة تَذْكُرُ من صلاتها. قال: "**مه. عليكم بما تطيقون، فو الله لا يمل الله حتى تملوا. وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه**". (2)

تذكر: أي تذكر المرأة لعائشة كثرة عبادتها وصلاتها. مه: اسم فعل يفيد الزجر والنهي، (لا يَمَلُّ): من الملال وهو استثقال الشيء ونفور النفس عنه بعد محبته، وهو محال على الله تعالى، وإنما أطلق من باب المشاكلة اللفظية أي مشابهة اللفظ الأول وهو ملل الإنسان، مثل قوله تعالى: "**قال رب لم**

---

(1) إسناده حسن: أخرجه أبو داود برقم (1308) وابن ماجه برقم (1336) وأحمد برقم (436/2).
(2) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم(43)و(1151) ومسلم برقم (741)و (782).

حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى" ومعنى (لا يمل الله) أي لا يقطع ثوابه عنكم وجزاء أعمالكم، ويعاملكم معاملة المالِّ حتى تملوا فتتركوا، فينبغي أن تأخذوا ما تطيقون الدوام عليه ليدوم ثوابه لكم وفضله عليكم.

وعن أنس رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: "ما هذا الحبل؟" قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت به. فقال النبي ﷺ: **"حُلّوه. ليُصلِّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد"**. (1)

ذكر الله خير الأعمال

عن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها بُكْرةً حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: **"مازلتِ على الحال التي فارقتك عليها؟"**. قالت نعم. فقال النبي ﷺ : **"لقد قلتُ بَعدك أربعَ كلمات ثلاثَ مراتٍ، لو وُزِنَت بما قلتِ منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضى نفسه، وزنةِ عرشه، ومداد كلماته"**. (2)

صلت أمنا جويرية بنت الحارث رضي الله عنها صلاة الفجر في مسجدها أي في موضع صلاتها في بيتها وجلست تذكر الله عز وجل حتى أضحت، لأنها تعلم أن حياة النفوس في ذلك ومعية الله للمؤمن في ذكره لربه عز وجل قال تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (البقرة: 15).

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم(212) ومسلم برقم (786) والنسائي برقم(99/1) وأبو داود برقم (1310) والترمذي برقم(355) وابن ماجه برقم (1370) وغيرهم.
(2) إسناده صحيح: أخرجه مسلم برقم (2726) والنسائي برقم (77/3) وابن ماجه برقم (3808) وغيرهم.

لقد علمها رسول الله ﷺ كلمات خفيفة على اللسان، لكنها أثقل وزناً من غيرها وكيف لا وهي كلمات تقدس الله وتعظمه بما يستحقه، ولأن الإنسان لا يستطيع أن يحصي لله تمجيداً وتعظيماً، ولا يقدر أن يوفي الله حقه من التسبيح والإجلال فإن هذه الأذكار النبوية، ردت الأمر لله عز وجل الذي لا نحصي ثناءً عليه كما أثنى هو على نفسه (سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضى نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته).

جدير بالمرأة المسلمة المعاصرة أن تطلق لسانها بذكر الله وأن تكون في زمرة السابقين الأوائل فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ : **" سبق المفردون" ، قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : "الذاكرون الله كثيراً والذاكرات".**[1] إن كثرة ذكرها لله لتعصمها من آفات اللسان من غيبة ونميمة وثرثرة ولعن وشتم وغيره من الكلام الذي يترتب عليه الحساب الشديد، وإن الذكر ليورث قلبها الطمأنينة والسكينة ويلهمها حسن التصرف، ولو لم يكن في الذكر إلا صفة واحدة وهي معية الله وذكره لعبده الذاكر لكفت، فقد ورد في الحديث القدسي " **أنا عند حسن ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم".**[2] كم يكون للمرأة المسلمة من الدرجات وذكر أهل السماء لها و مباهاة الله عز وجل بها ملائكته إذا ذكرت الله وهي بين جارات غافلات عن ذكر الله مقبلات في أحاديث اللهو الفارغة التي لا تخلو من الإثم. ثم إنه بذكر المرأة لربها فإنها تحيي بيتها فقد روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يُذْكَرُ الله فيه مثل الحي والميت".**[3]

---

(1) إسناده صحيح: أخرجه مسلم برقم (2627) والترمذي برقم (3590) وغيرهما.
(2) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم(325/13) ومسلم برقم (2675) والترمذي برقم (3598) وغيرهم.
(3) إسناده صحيح: أخرجه مسلم واللفظ له برقم (779) البخاري برقم (177-175/11) وغيرهما.

ثم إن ذكرها لله من أهون العبادات لأنه لا يتطلب كيفية معينة ولا طريقة محددة، وما لم يكن تلاوة لكتاب الله وهو أجلّ أنواع الذكر فلا يشترط فيه غُسْل ولا وضوء، والرسول ﷺ كان يذكر الله في سائر أحواله. فكم هو هيّن على المرأة المسلمة الصالحة حية القلب أن تتلو ما تحفظ من كتاب ربها وهي ترتب بيتها، أو تصلح شأنه، وبوسعها سماع تلاوة من القرآن من خلال الأشرطة، وكم هو هين عليها أن تطلق لسانها بالتسبيح و التحميد والتهليل والتكبير والاستغفار والصلاة على نبيها محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه وسلم حتى وهي جنب أو حائض.

بل إن ذكر الله عز وجل من أعظم ما يساعد المرأة في شؤون بيتها وخدمة زوجها وأطفالها، وهو خير لها من خادم كما مرّ معنا في حديث أمنا فاطمة رضي الله عنها وأرضاها لما طلبت من أبيها المصطفى ﷺ خادماً، فدلها وزوجها علي رضي الله عنه وأرضاه على التسبيح و التحميد والتكبير.

أختاه جربي ذلك وذوقيه فمن ذاق عرف، ألا ترين أن السعادة الحقيقية التي ذاقتها أمنا جويرية بنت الحارث رضي الله عنها في ذكر الله عز وجل هي التي حملتها على الجلوس دون فتور أو سأم من الفجر لوقت الضحى وهي مشتغلة بالذكر.

البشرى الأخيرة

المرأة الصالحة تدخل من أي أبواب الجنة تشاء عن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ : **"إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي من أي أبواب الجنة شئت"**. [1]

---

(1) حديث صحيح: أخرجه أحمد برقم (191/1) وابن حبان برقم (4151) وابن عدي في الكامل برقم (993/3) وأبو نعيم في الحلية برقم (308/6) وغيرهم.

أيتها الأخت المسلمة أن نبيك وحبيبك محمد ﷺ يرغبك في الصبر على العمل الصالح حتى تلقينه على حوضه وتشربي من يده الشريفة شربة لا تظمأي بعدها أبداً.

أعدّي لذلك اليوم بالتزام طاعة الرحمن واتباع النبي الصادق العدنان، واحرصي على مخالفة الشيطان، وتجنب معاصي الجوارح وآفات اللسان.

واعلمي أننا رجالاً ونساءً مقبلون على يوم عظيم، الأمر فيه شديد والمرحوم من رحمه الله ونجاه، فعن أمنا عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"يُحشَر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلا"** (غير مختونين) قلت: يا رسول الله، الرجال والنساء جميعاً، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: **"يا عائشة، الأمر أشد من أن يَهُمَّهُم ذلك"**. (1)

وبهذا التذكير النبوي نختم هذا الكتاب، لعله يكون مسك الختام وذكرى لكل أخت مسلمة لها قلب حي أن تضع دائماً في حسبانها ذلك اليوم الشديد الذي يذهل الرجال والنساء فيه عن عوراتهم المتكشفة، **"فالأمر أشد من أن يهمهم ذلك"**، ولتعلم أنها واحدة من أهل الحشر فإما إلى جنة عرضها السماوات والأرض تدخلها وتنال رضوان الله، أو نار مستعرة وعذاب مقيمان وسخط من الله أعاذنا الله وإياكم من حال أهل النار.

اللهم نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(1) إسناده صحيح: أخرجه البخاري برقم (6527) ومسلم برقم (2859) وغيرهما.

مراجع الكتاب

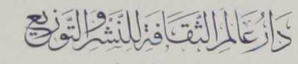
- في ظلال القرآن، سيد قطب
- نزهة المتقين في شرح رياض الصالحين، د. مصطفى سعيد الخن و د. مصطفي البغا
- فقة السنة، سيد سابق
- نظرات في السنة.. قضايا تهم المرأة، حجازي إبراهيم
- صحيح البخاري وصحيح مسلم وكتب السنن

فهرس الكتاب



كيف تسعدين زوجك ووصايا الرسول ﷺ للنساء


ISBN 995742349-5
9789957423490

www.alamthqafa.com

E-mail:info@alamthqafa.com